روائع المسرح العالمى

٥٩

أوندين

تأليف : جان جيرودو

ترجمة : دولت حسن

مراجعة وتقديم : الدكتور محمد مندور

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

الفصل الأول

كوخ صيادين ــ العاصفة فى الخــــارج

المنظر الأول

أوجست العجوز ــ أوجينى العجوزة

أوجست : (فى النافذة) ماذا يمكنها أن تفعل فى الخارج الى الآن فى هذه الظلمة !

أوجينى : لماذا تقلق عليها ؟ انها ترى فى الليل !

أوجست : فى هذه العاصفة !

أوجينى : كأنك لم تعد تعرف أن الأمطار لا تبللها !

أوجست : انها تغنى الآن ! .. هل تعتقدين أنها هى التى تغنى ؟ اننى لا أتعرف على صوتها .

أوجينى : من تريدها أن تكون ! اننا نبعد ٢٠ فرسخا عن أى منزل .

أوجست : الصوت ينطلق حينا من وسط البحيرة وحينا من أعلى الشلال .

أوجينى : ذلك لأنها حينا فى وسط البحيرة وحينا فى أعلى الشلال .

أوجست : انك تمزحين ! كنت تلهين بقفز القنوات فى أثناء الفيضان وأنت فى مثل سنها .

أوجينى : حاولت مـرة واحـدة . وقد انتشلونى من قدمى . حاولت مرة واحدة فقط ما تفعله هى آلاف المرات كل يوم .. تقفز من فوق الهوة ، تستقبل مياه الشلالات فى وعاء .. آه انتى أذكر هذه المرة التى حاولت فيها أن أسـير على الماء !

أوجست : اننا ضعاف جدا معها يا أوجينى . فتـاة فى الخامسة عشرة من عمرها لا يجب أن تتجول فى الغابات فى مثل هذه الساعة . سأتكلم جديا . انها لا تصلح ثيابها الا عـلى قمة الصـخور ولا تقيم صلواتها الا ورأسها تحت الماء .. ماذا يكون عليه حالنا اليوم لو كانت تربيتك بهذه الطريقة !

أوجينى : أليست تساعدنى فى أعمال المنزل .

أوجست : يمكن قول الكثير فى هذا الموضوع ..

أوجينى : ماذا تدعى أيضا ؟ ألا تقوم بغسل الأطباق ؟ ألا تقوم بتلميع الأحذية ؟

أوجست : فى الحق انى لا أعرف شيئا .

أوجينى : أليس نظيفا هذا الطبق ؟

أوجست : لا أقصد هذا . وانما أقول لك اننى لم أرها أبدا وهى تغسل أو تلمع .. وأنت كذلك لم تريها ..

أوجينى : انها تفضل العمل فى الخارج ..

أوجست : نعم ، نعم ! ولكن ليكن هناك ثلاثة أطباق أو اثنا عشر ، حذاء واحد أو ثلاثة أزواج ، فهذا يستغرق نفس الوقت . لا تمر دقيقة الا وتكون قد عادت . قطعة القماش لم تستعمل وعلبة الورنيش لم تمس . ولكن كل شيء نظيف ، كل شيء لامع .. وقصة الأطباق الذهبية ، هل استوضحت الأمر ؟ ويداها لا تتسخان أبدا .. هل تعلمين ماذا فعلت اليوم ؟

اوجينى : هل مر يوم منذ خمسة عشر عاما ، فعلت فيه ما كنا ننتظره ؟

اوجست : رفعت حاجز حوض السمك ، وأسماك اللوت التى جمعتها منذ الربيع ذهبت .. استطعت الامساك بسمكة العشاء فقط .

(النافذة فتحت فجأة) ما هذا أيضا ...

اوجينى : انك ترى جيدا . انها الرياح .

اوجست : أقول لك انها هى ! .. عساها لا تبدأ معنا مهازلها بهذه الرؤوس التى تظهرها فى النافذة فى ليالى العاصفة .. ان رأس العجوز البيضاء تجعلنى أشعر بقشعريرة البرد فى ظهرى .

اوجينى أما أنا فأحب رأس السيدة بلآلئها .. اقفل النافذة ، على كل حال ، اذا كنت تشعر بالخوف.

(رأس عجوز متوج له لحية مرسلة ، ظهرت من فتحة النافذة على ضوء البرق)

الرأس : لقد تأخرت يا أوجست ! ...

اوجست : سترين اذا كنت قد تأخرت يا أوندين !

(يقفل النافذة . تفتح من جديد فجأة وتظهر رأس جميلة مضيئة) .

اوجينى : أوندين ، ان والدك ليس مسرورا ! ادخلى !..

اوجست : هلا دخلت يا أوندين ! سأعد ثلاثة . وعنـــدما أقول ثلاثة اذا لم تطيعى سأغلق بالمزلاج ... وستنامين فى الخارج .

اوجينى : انك تمزح !

اوجست : سترين ما اذا كنت أمزح ! .. أوندين واحد !

اوجينى : الجميع يعلمون انك تعرف العد حتى ثلاثة !

اوجست : أوندين ، اثنين !

اوجينى : انك غير محتمل !

اوجست : أوندين ، ثلاثة !

اوجست : (يقفل بالمزلاج) هكذا ..

ها نحن نستطيع أن نتناول العشاء فى سلام .

(يفتح البـــاب على مصراعيه . يلتفت أوجست واوجينى على الصوت . فارس مدرع يقف على عتبة الباب) .

المنظر الثــــانى

الفارس . أوجست . أوجينى

الفارس يصك قدميه فى وقفة انتباه :

ريتز هانز فون ڤيتنشتاين تسو ڤيتنشتاين .

أوجست : يدعوننى أوجست .

الفــارس : لقد سمحت لنفسى بأن أضع حصانى فى مخزن قمحكم . الحصان كما يعلم كل انسان هو أهم متعلقات الفارس .

أوجست : سأذهب يا سيدى لأنظفه وأزيل عرقه .

الفــارس : لقدفعلت ذلك شكرا . اننى أنظفه بنفسى على طريقة أهل الأردن وأنتم تنظفونهم هنــا على طريقة أهل السواب . انكم تتناولون معــرفة الحصان فى اتجاه عكسى ولذلك فهو يفقد لمعانه وخاصة اذا كان من الخيول الرقش . هــل أستطيع الجلوس ؟

أوجست : اعتبر نفسك فى منزلك يا سيدى .

الفــارس : يا لها من عاصفة ! منذ الظهيرة والماء ينســاب

داخل رقبتى ويخرج من مزراب الدم لقد وقع المحظور فهذا أشد ما نخشاه نحن الفرسان ونحن داخل الدرع .. المطر .. المطر والبرغوث .

أوجست : ربما استطعت أن تخلعه يا سيدى ، اذا كنت ستقضى الليلة هنا .

الفارس : هل رأيت الجمبرى وهو يغير القشرة الصلبة التى تغطى جسمه يا عزيزى أوجست ؟ انه فى مثل هذا التعقيد ! سأستريح أولا .. قلت لى انهم يدعونك أوجست ، أليس كذلك ؟

أوجست : وزوجتى يدعونها أوجينى .

أوجينى : معذرة يا سيدى فهذه ليست أسماء لفرسان متجولين .

الفارس : لا يمكنك أيتها المرأة الطيبة أن تتصورى الفرحة بالنسبة للفارس الذى يبحث بدون جدوى طول الشهر داخل الغابة عن فراموند وأسموند اذ يعثر فى ساعة العشاء على أوجست وأوجينى .

أوجينى : فى الواقع يا سيدى ! ليس من اللائق أن نوجه الأسئلة الى ضيفنا . ولكن ربما غفرت لى هذا . هل تشعر بالجوع ؟

أوجست : اننى جائع . اننى جائع جدا . سأقاسمكم بكل سرور عشاءكم .

أوجينى : لن تتعشى يا سيدى . ولكن عندى هنا سمكة لوت ربما يطيب لك أكلها ..

الفـارس : لا شك فى هذا . اننى أعبد سمك اللوت .

أوجينى : هل تريدها محمرة أو مشوية ؟

الفـارس : أنا ؟ أريدها مسلوقة .

(يظهر الرعب على أوجست وأوجينى) .

أوجينى : مسلوقة ؟ اننى أتقنها وخاصة هذا النوع بالزبدة البيضاء .

الفـارس : انك تسألينني رأيي . أنا لا أحب هذه السمكة الا مسلوقة .

أوجست : بالبقسماط فى الفرن ، أوجينى تبدع فى هذا .

الفـارس : ما هذا ! أليس المسلوق أن تلقى بالسمكة وهى حية فى الماء المغلى المتبل ؟

أوجست : تماما يا سيدى .

الفــارس : ولذلك تحتفظ بنكهتها وبلحمها لأن الماء المغلى فاجأها ؟

أوجست : فاجأها ما هو الا تعبير يا سيدى .

الفــارس : اذن ليس هناك مجال للشك . أريدها مسلوقة .

أوجست : اذهبى يا أوجينى واطهها مسلوقة .

أوجينى : (من عند الباب) محشوة بلا دسم تكون لذيذة جدا كذلك .

أوجست : اذهبى ..

(أوجينى تذهب الى المطبخ . الفارس يستريح فى جلسته) .

الفــارس : أرى أنهم يحبون الفرسان المتجولين فى هذه الأنحاء ؟

أوجست : اننا نحبهم أكثر من المسلحين . فالفارس المتجول علامة على انتهاء الحرب .

الفــارس : أنا أحب الحرب . لست شريرا . لا أريد السوء لأى انسان ولكنى أحب الحرب جدا .

أوجست : لكل ذوقه الخاص يا سيدى .

الفارس : أنا أحب الكلام . فأنا ثرثار بطبعى . فى الحرب تجد دائما من تتحدث معه اذا كان من معك متعكر المزاج تتخذ أسيرا . تحادث قسيسا انهم أكثر الناس ثرثرة . تنتشل عدوا جريحا وسيقصون عليك تاريخ حياتهم . أما الفارس المتجول مثلى فاذا استثنينا الصدى لا أرى مع من استطعت تبادل كلمة واحدة منذ شهر ، وأنا أجتهد لأعبر هذه الغابة .. لا أحد .. والله يعلم كم من الكلام عندى لأقوله .

أوجست : انهم يؤكدون يا سيدى ان لغة الحيوانات مكشوف عنها الستار للفرسان المتجولين .

الفارس : ليس بالمعنى الذى تقصده . بكل تأكيد تتكلم معنا . كل حيوان مفترس بصفته رمزا للفارس زئيره أو نداؤه يصبح جملة رمزية تحفر بحروف من نار فى أذهاننا . فالحيوانات اذا كنت تفضل ذلك تكتب أكثر مما تتكلم . ولكن هذا ليس متنوعا : كل فصيلة لا تقول لك الا جملة واحدة وعن بعد وفى بعض الأحيان بلهجة مرعبة .. الوعل عن النقاء ، الخنزير الوحشى

عن احتقار خيرات الأرض .. وعادة دائما الذكر العجوز هو الذى يكلمك . وخلفه صغار رائعو الحسن واناث غـــاية فى اللطف .. لا ، دائما يزعجك رؤية التيتل أو الخنزير البرى المتوحش العجوز .

أوجست : هناك الطيور ؟

الفـارس : الطيور لا ترد عليك . لقد خيبت ظنى الطيور . انها تردد للفارس نفس الغناء . عن مســاوىء الكذب . أحاول أن أثير اهتمامها . أســألها عن حالها وهل السنة كانت طيبة بالنسبة لتغيير الريش أو لوضع البيض وهل الرقاد على البيض يتعبها . لا فائدة . انها لا تتنازل .

أوجست : يدهشنى هذا التصرف يا سيدى من القبرة . فهى تحب الافضاء بأسرارها .

الفـارس : الحلقة المعدنية فى رقبة الفارس تمنعه من الكلام الى القبرة .

أوجست : ولكن من ذا الذى استطاع اذن أن يدفعك الى هذه المنطقة التى لم يعد منها الا القليل جدا ؟

الفــارس : من تريدها أن تكون : امرأة .

أوجست : لن أستجوبك يا سيدى .

الفــارس : لا عليك . ستستجوبنى وفى الحال ! ها قد مر ثلاثون يوما ، وأنا لم أتحدث عنها يا أوجست ! لا يمكنك أن تفكر فى أننى سأدع فرصة الكلام تفوتنى أخيرا وقد قابلت شخصين ! .. استجوب ! اسألنى عن اسمها ، سريعا ..

أوجست : سيدى ..

الفــارس : اسأل عنه اذا كنت ترغب فى معرفته !

أوجست : ما هو اسمها ؟

الفــارس : تدعى برتا ، أيها الصياد ! ما أجمله من اسم .

أوجست : رائع بكل صراحة .

الفــارس : الأخريات يدعون : أنجليك ، ديان ، فيولنت ! الجميع يمكنهم أن يسموا أنجليك ، ديان ، فيولنت . أما هى وحدها فتستحق هذا الاسم الصارم ، الرنان ، المؤثر .. وتريدين بدون شك أن تعلمى ما اذا كانت جميلة يا أوجينى ؟

أوجينى : (تدخل) ما اذا كانت جميلة ؟

أوجست : يحدثونك عن برتا ، الكونتسه برتا يا زوجتى المسكينة ؟

أوجينى : آه نعم ! هل هى جميلة ؟

الفارس : أوجينى ، ملكنا اختارنى لأشترى له جياده ، وهذا لأقول لك اننى أظل حريصا كبائع الجياد حتى مع النساء . لا يفوتنى أى نقص . انجليك التى ذكرتها ظفر ابهامها الأيمن به خطوط . فيولنت عندها ترترة ذهبية فى عينها . كل شىء فى برتا كامل .

أوجينى : انك ترانا فى منتهى السعادة .

أوجست : لابد وأن يكون هذا جميلا ، ترترة ذهبية فى العين ؟

أوجينى : فيم تدخلك يا أوجست ! ..

الفارس : الترترة ؟ لا تعتقد هذا يا مضيفى العزيز . يوما ، أو يومين أو ستسليك هذه الترترة ؟ ستتسلى بأن تقرب وجه فيولنت تحت القمر ، ستقبلها قرب المشاعل .. وفى اليوم الثالث ستكرهها وستفضل ذبابة صغيرة داخل عين زوجتك !

أوجست : ما شكلها ؟ هل هى كحبة الميكا ؟

اوجيني : انك تضغط على أعصابنا بترترتك ؟ دع الفارس يتكلم .

الفارس : صحيح يا أوجست ! لماذا تتحيز لفيولنت هذه ؟ فيولنت اذا تبعتنا الى الصيد تجرح الفرس البيضاء فى ركبتها . تكون جميلة الفرس البيضاء الجريح خاصة اذا داوا جرحها بالفحم ! فيولنت اذا حملت شمعدانا للملكة تجد الوسيلة لتنزلق وتفترش بلاط الأرض . فيولنت اذا أمسك بيدها الدوق العجوز وقص عليها قصة مرحة تشرع فى البكاء ..

أوجست : فيولنت ؟ تشرع فى البكاء ؟

الفارس : على حد معرفتى بك أيها العجوز أوجست ، ستسألنى عن مصير الترترة فى العين عندما يبكى الانسان ؟

أوجينى : لابد وأنه كان يفكر فى هذا يا سيدى . انه عنيد جدا .

الفارس : سيفكر فيها الى أن يحين اليوم الذى يرى فيه برتا .. لأنكما ستحضران زواجنا يا مضيفى العزيزين ! اننى أدعوكما ! برتا لم تشترط

لزواجنا الا أن أعود من هذه الغابة . واذا عدت
منها فهذا بفضلكم وسترى عندئذ ڤيولنت التى
أثارت اهتمامك أيها الصـــياد بفمها الكبير
وأذنيها الدقيقتين وأنفها الاغريقى الصغير ،
ســترى ما يمكنها أن تكون هذه الكستنائية
بجانب هذا الملاك الأسود العظيم ! .. والآن
يا عزيزتى أوجينى اذهبى وأحضرى لى سمكتى
المسلوقة والا نضجت أكثر مما يجب !
(يفتح الباب ، وتظهر أوندين) .

المنظر الثـالث

نفس الأشخاص ــ أوندين

أوندين : (من الباب حيث وقفت بلا حراك) ما أجملك !

أوجست : ماذا تقولين أيتها الصغيرة الفاجرة ؟

أوندين : أقول : ما أجمله !

أوجست : انها ابنتنا يا سيدى . انها لا تعرف الأصول .

انها فى الخامسة عشرة من عمرها أيها الفارس
أرجو أن تغفر لها ..
انك تضايقين ضيفنا ..

اوندين : انني لا أضايقه على الاطلاق .. انني أعجبه .. ألا ترى كيف ينظر الى .. ما اسمك ؟

أوجست : لا ترفعي الكلفة مع الأسياد يا طفلتي المسكينة .

الفارس : هانز ..

اوندين : كان يجب أن أخمن . عندما نكون سعداء ونفتح فمنا نقول هانز ..

اوندين : ما أجمله من اسم ! ما أجمل الصدى داخل الاسم ! .. لماذا أنت هنا ؟ .. لتأخذني ؟ ..

اوجست : هذا يكفي .. اذهبي الى غرفتك ..

أوجيني : ها هى سمكتك المسلوقة يا سيدى . كلها . هذا أفضل لك من الاستماع الى ابنتنا المجنونة ..

أوندين : سمكته المسلوقة !

الفارس : انها رائعة .

أوندين : هل جرؤت على عمل سمكة مسلوقة يا أماه ! ..

أوجيني : اسكتى . على كل حال فقد أعدت ..

أوندين : آه يا سمكتى العزيزة ، أنت التى منذ مولدك كنت تسبحين نحو المياه الباردة !

أوجست : لن تبكى من أجل سمكة !

أوندين : يقولون انهم والداى .. ثم يصطادونك .. ويلقون بك حية فى المياه المغلية !

الفارس : أنا الذى طلبت هذا يا فتاتى الصغيرة .

أوندين : أنت ؟ .. كان يجب أن أشك فى هذا .. عند النظر اليك من قرب يمكن تخمين كل شىء .. أنت حيوان ، أليس كذلك ؟

أوجيني : سامحنا يا سيدى !

أوندين : أنت لا تفهم شيئا فى أى شىء ، أليس كذلك ؟ هذه هى الفروسية ، هذه هى الشجاعة ! ..

تبحث عن مردة لا وجود لها على الاطلاق »
واذا قفز كائن حى صغير فى المياه العذبة تطلب سلقه فى الماء المغلى !

الفـارس : وآكله يا طفلتى ! وأجده لذيذا !

اوندين : سترى كم هو لذيذ .. (تلقى بالسـمكة من النافذة) كلها الآن .. وداعا ..

اوجينى : الى أين يا صغيرتى !

اوندين : يوجد فى الخارج هنـا شخص يكره الرجال ويريد أن يخبرنى بما يعرفه عنهم .. كنت دائما أصم عنه أذنى ، كانت عندى فكرتى .. انتهينا ، سأستمع اليه ..

اوجينى : ستخرج ثانية فى هذه الساعة !

اوندين : بعد دقيقة واحدة سأعرف كل شىء » سأعرفهم ، سأعرف كل شىء عنهم ، وكل ما يسـتطيعون عمله . تبا لكم ..

اوجست : هل يجب أن أمنعك بالقوة ؟

(تتحاشاه بقفزة) .

اوندين : كنت أعرف أنهم يكذبون ، ان الجميـل فيهم

قبيح والشـــجاع منهم جبان .. أعرف أنني أمقتهم !

الفــارس : هم سيحبونك أيتها الصغيرة ..

أوندين : (دون أن تلتفت ولكن تتوقف) ماذا قال ؟

الفــارس : لا شيء .. لم أقل شيئا .

أوندين : كرر ما قلت لنرى !

الفــارس : هم يحبونك يا صغيرة .

أوندين : أنا ، أكرههم .

(تختفي في ظلام الليل) .

المنظر الرابع

الفارس . أوجست . أوجينى

الفارس : تهانى . انكم تحسنون تربيتها ..

أوجست : يعلم الله أننا نؤنبها على كل غلطة .

الفارس : يجب ضربها .

أوجينى : اذهب وحاول الامساك بها !

الفارس : يجب حبسها ومنع الحلوى عنها .

أوجست : انها لا تأكل شيئا .

الفارس : انها محظوظة . اننى أموت من الجوع . أعدى لى سمكة أخرى مسلوقة . لا لشىء الا لمعاقبتها .

أوجست : كانت السمكة الأخيرة يا سيدى .. ولكننا دخنا لحم الخنـــزير وستقطع لك أوجينى بعض الشرائح ..

الفارس : هل تسمح لكم بذبح الخنازير ؟ هذا جميل جدا !

(تخرج أوجينى) .

اوجست : لقد ضايقتك أيها الفارس . انني في غـــاية الاستياء .

الفــارس : لقد ضايقتني لأنني حيـــوان كما قالت . في الحقيقة يا صديقي العجــوز نحن الرجال كلنا متشابهون . مغرورون مثل طائر الغرغر . عندما كانت تقول انني جميل كان هذا يعجبني منها وأنا أعلم أنني لست جميلا . وضايقتني عندما قالت انني جبان وأنا أعلم أنني لست جبانا ..

اوجست : أنت طيب جدا لأخذك الأمر على هذا النحو .

الفــارس : انني لا آخذه على نحو جيد .. انني غاضب . انني دائم الغضب نحو نفسي عنـدما يخطيء الآخرون !

اوجيني : لا أجد لحم الخنزير يا أوجست .

يلحق بها أوجست .

المنظر الخامس

الفـــارس . أوندين

عادت أوندين فى هـــدوء الى المـــائدة خلف الفارس الذى يمد يده نحو النار فى بادىء الامر لا يلتفت .

أوندين : أنا يدعوننى أوندين .

الفــارس : اسم جميل .

أوندين : هانز وأوندين .. هذان أجمـــل اســـمين فى الوجود ، أليس كذلك ؟

الفــارس : أو أوندين وهانز .

أوندين : أوه لا ! هانز أولا . انه الفتى . يذكر اســمه أولا .. وهو الذى يأمر . أوندين هى الفتاة .. يجب أن تكون خطوة الى الخلف .. وتلتزم الصمت .

الفــارس : تلتزم الصمت ! بحق الشـــيطان كيف يمكنها ذلك !

أوندين : هانز يســـبقها بخطـــوة فى كل مكان .. فى الاحتفالات .. عند الملك .. فى الشيخوخة .

هانز يموت أولا .. هذا فظيع .. ولكن أوندين تلحق به سريعا .. تقتل نفسها ..

الفارس : ما هذا الذى تقولين ؟

أوندين : هناك لحظة فظيعة يجب أن آمر بها . الدقيقة التى تلى موت هانز .. ولكنها ليست طويلة ..

الفارس : من حسن الحظ أن الكلام عن الموت لا يلزمك بشىء فى مثل سنك ..

أوندين : فى مثل سنى ؟ .. أقتل نفسك لترى . سترى ما اذا كنت لن أقتل نفسى ..

الفارس : لم أكن فى حياتى أقل رغبة فى قتل نفسى من الآن ..

أوندين : قل لى انك لا تحبنى ! سترى ما اذا كنت لن أقتل نفسى ..

الفارس : كنت تجهليننى منذ ربع ساعة مضت ، وتريدين الموت من أجلى ؟ كنت أظن أننا متخاصمان من أجل السمكة ؟

أوندين : دع السمكة وشأنها ! هذا النوع غبى قليلا ، ما كان عليها الا أن تتجنب الرجال ، اذا أرادت

أن تتفادى الشرك . أنا أيضا غبية . أنا أيضا وقعت فى الشرك ..

الفـارس : على الرغم مما قاله لك صديقك المجهول هناك فى الخارج عن الرجال ؟

أوندين : قال لى سخافات .

الفـارس : فهمت الآن . كنت تسألين وتجيبين ..

أوندين : لا تمزح .. انه ليس ببعيد .. وهو مخيف ..

الفـارس : لن تجعليننى أعتقد أنك تخافين من أحد أو من شىء ؟

أوندين : نعم أخـــاف أن تهجـــرنى .. قال لى انك ستهجرنى . ولكنه قال لى أيضا أنك لست جميلا .. وبما أنه أخطأ فى هذه يمكنه أن يخطىء فى تلك .

الفـارس : أنت ، ما شكلك ؟ جميلة أم قبيحة ؟

أوندين : هذا يتوقف عليك ، على ما ستفعله بى . أفضل أن أكون جميلة ، أفضل أن تحبنى .. أفضل أن أكون أجمل واحدة ..

الفـارس : يا لك من كاذبة صغيرة .. لم تكونى الا أكثر

جمالا منذ قليل عندما كنت تكرهينني .. هذا
كل ما قاله لك ؟

اوندين : قال لى كذلك اننى اذا قبلتك سأهلك .. وقد أخطأ فى هذا .. فلم أكن أفكر فى تقبيلك .

الفارس : فكرى فى ذلك من بعيد .

اوندين : ما أحلى الانتظار .. .. سنتذكر هـذه اللحظة فى المستقبل .. اللحظة التى لم تقبلنى فيها ..

الفارس : يا صغيرتى أوندين ..

اوندين : اللحظة التى لم تقل لى فيها أيضا انك تحبنى .. لا تنتظر بعد الآن ..

الفارس : هل تظنين أن هذا يقال هكذا ، اننا نحب بعضنا !

اوندين : تكلم ! آومر ! ما أبطأ الرجال !

الفارس : انك مجنونة ! وذراعاى ؟ هل تعتقدين أنهما تفتحان لأول طارقة ؟

أوندين : لدى طريقة لأجعلك تفتح ذراعيك .

(الفارس يغلب على أمره فجأة ويفتح ذراعيه)

أوندين : ولكى تضمهما .

يضم ذراعيه . صوت امرأة يعلو فى الخارج .

الصوت : أوندين !

اوندين تلتفت غاضبة نحو النافذة .

أوندين : هلا سكت ! من ذا الذى يحدثك ! ..

الصوت : أوندين !

أوندين : هل أتدخل فى شئونك ؟ هل استشرتنى عند زواجك !

الصوت : أوندين !

أوندين : ومـع ذلك فزوجك عجل البحر جميل بثقوبه الأنفية من غير أنف ! عقد من اللآلىء وتغلب عليك ! .. وحتى اللآلىء لم تكن متناسقة .

الفـارس : الى من تتحدثين يا أوندين ؟

أوندين : الى بعض جاراتى .

الفـارس : كنت أظن منزلكم منعزلا .

أوندين : الحساد موجودون فى كل مكان . !نهم يغارون منى ..

صوت رجل : أوندين !

أوندين : وأنت ! لأن الحوت صنع أمامك نافورة ماء ارتميت بين زعانفه !

الفـارس : هذه الأصوات ساحرة .

أوندين : ان اسمى هو الساحر وهم ينطقون به ! .. قبلنى يا هانز ، حتى اختلف الى الأبد عنهن .. على العموم لا تملك الخيار ! .. .

صوت رجل : أوندين !

أوندين : فات الوقت اذهب لسبيلك !

الفـارس : الصديق الذى كنت تتحدثين عنه ؟

صوت رجل : أوندين !

اوندين : اننى لم أعد أسمعك . لم نعد نسمعك من هنا .. وعلى العموم فات الوقت .. وحـدث ما حـــدث .

يسمع صوت عند باب المطبخ .

الفـارس : (وهو يدفع بلطف أوندين .....) هاهما والداك يا أوندين .

أوندين : آه ! هل كنت تعرفها ؟ يا للخسارة . لم أكن أعرف أننى علمتك اياها !

الفـارس : ماذا يا سيدتى الصغيرة ؟

أوندين : الطريقة التى تفتح بها ذراعيك ..

المنظر السادس

أوندين . الفارس . الوالدان

أوجينى : اننا فى شدة الأسف ! لقد أضعنا لحم الخنزير !

أوندين : كنت قد أخفيته لأظل بمفردى مع هانز ..

أوجست : ألا تخجلين !

أوندين : كلا ! اننى لم أضع وقتى . سيتزوجنى يا والدى العزيزين ! الفارس هانز يتزوجنى !

أوجست : ساعدى والدتك بدلا من هذا الكلام الفارغ .

أوندين : هو ذا . اعطنى المفرش يا أماه . أنا التى سأخدم هانز . من هذه اللحظة أنا خادمة سيدى هانز .

أوجست : لقد أخرجت زجاجة من القبو أيها الفارس . اذا سمحت لنا سنشرب معك بعد لحظة .

أوندين : مرآة يا سيدى هانز ، لترتب شعرك قبل العشاء ؟ ..

أوجينى : من أين لك بهذه المرآة الذهبية يا أوندين ؟

أوندين : ماء ليديك يا صاحب الجلالة هانز ؟

الفـارس : ما أروعه ابريقا للماء ! الملك لا يملك واحـدا مثـله ..

أوجست : هذه أول مرة نراه فيها ..

أوندين : سيستوجب هذا يا سيدى هانز أن تعلمنى كل الخـدمات المطلوبة منى . يجب أن أكون من مطلع الشمس الى مغيبها خادمتك المثالية .

الفـارس : من مطلع الشمس الى مغيبها يا صـــغيرتى أوندين ! أن توقظينى سيكون أصعب الأمور ان نومى ثقيل ..

أوندين : (جالسة بجانب الفارس وملتصقة به) يا له من حظ ! قل لى كيف يشدون شعرك ليخرجوك من سباتك ؟ كيف يفتحون عينيك بأيديهم بينما تقاوم رأسك .

أوجينى : أوندين الأطباق !

أوندين : أوه يا أماه ؟ أعدى أنت المائدة . السيد هانز يعلمنى ما يجب على أن أفعله عند ايقاظه .. فلنبدأ من جديد يا سيدى هانز ! افعل كما لو كنت نائما ..

الفارس : مع هذه الرائحة الشهية من المطبخ ، مستحيل !

أوندين : استيقظ يا صغيرى هانز .. الفجر هنا ! خذ هذه القبلة فى مسائك وهذه القبلة فى صباحك..

أوجست : لا تغضب منها بسبب تصرفات الأطفال هذه يا سيدى ..

أوجينى : انها صغيرة ، ولهذا تتعلق ..

الفارس : هذا هو ما أسميه لحم الخنزير .

أوجست : انه أيها الفارس مدخن بالعرعر .

أوندين : لقد أخطأت عندما أيقظتك ! لماذا نوقظ من نحب ؟ فى سباتهم كل شىء يدفعهم نحونا ! وحالما يفتح عينيه يهرب منا ! نم ، نم يا سيدى هانز ..

الفارس : أرغب شريحة أخرى .

أوندين : كم أنا سيئة التصرف ! أنيمك بدلا من أن أوقظك .. وفى المساء ، كما أعرف نفسى ، سأوقظك بدلا من تنويمك .

أوجينى : أى نعم ! ستصبحين سيدة بيت رائعة .

أوجست : بعض الهدوء يا أوندين ، أريد أن أقول كلمة .

أوندين : بكل تأكيد سأكون سيدة بيت رائعة ! هل

تعتقدين أنك سيدة بيت رائعة لأنك تعرفين تحمير لحم الخنزير ! ليس هذا هو المطلوب فى سيدة البيت !

الفارس : آه نعم ! ماذا ؟

أوندين : هو أن أكون كل ما يحب سيدى هانز ، كل كيانه . هو أن أكون أجمل ما يمكن وأبسط ما يمكن . سأكون حذاؤك يا زوجى ، سأكون تنفسك ، سأكون مقدمة سرجك ، سأكون دموعك وأحلامك .. ما تأكله هنا الآن هو أنا ..

الفارس : انه مملح بالدرجة المطلوبة . انه ممتاز ..

أوندين : كلنى أنا ! كلنى كلى !

أوجينى : والدك يتكلم يا أوندين !

أوجست : (يرفع كوبه) سيدى ، بما أنك تشرفنا بقضاء الليلة فى منزلنا ..

اوندين : عشرة آلاف ليلة .. مائة ألف ليلة ..

أوجست : اسمح لى أن أتمنى لك أعظم نصر حصل عليه فارس ، وأن نشرب نخب من تحب ..

أوندين : كم أنت لطيف يا أبى ! ..

أوجست : نخب من تنتظرك فى قلق ..

أوندين : لم تعد تنتظر .. انتهى القلق ..

أوجست : والتى تحمل هذا الاسم الذى أعلنت أنه أجمل اسم بين جميع الأسماء . ومع أننى أحب اسم فيولنت ، لكننى أتحيز قليلا لفيولنت بسبب ..

أوجينى : نعم ، نعم ، اننا نعرف ، أكمل ..

أوجست : نخب أجمل الجميلات ، نخب أكثرهن وقارا ، نخب الملاك الأسود كما تسميها نخب برتا ، سيدتك !

أوندين : (وقد وقفت) ماذا تقول ؟

أوجست : أقول ما قاله لى الفارس بنفسه !

أوندين : أنت تكذب ! انه يكذب ! اسمى برتا الآن !

أوجينى : لست أنت المقصودة يا عزيزتى !

أوجست : الفارس مخطوب الى الكونتسة برتا . سيتزوجها عند عودته . أليس كذلك أيها الفارس ؟ الجميع يعرفون هذا ..

أوندين : الجميع يكذبون .

الفــارس : يا صغيرتى أوندين ..

أوندين : ها قد أفاق من لحم خنزيره ! هل توجد برتا نعم أو لا ؟

الفارس : دعينى أشرح لك !

اوندين : هل توجد برتا نعم أو لا ؟

الفارس : نعم توجد برتا ! كانت توجد برتا .

أوندين : هكذا ، اذن فقد صدق الآخر فيما قاله لى عن الرجال ! يغرونك بآلاف الحيل وبعد ذلك يفكرون فى امرأة سوداء تدعى برتا .

الفارس : لم أفعل شيئا من هذا يا أوندين !

أوندين : (وهى تعض ذراعها) لقد فعلته ! وما زلت أتألم منه .. انظرا يا والدى الى هذه العضة فى ذراعى ، انه هو فاعلها !

الفارس : لن تصدقوا شيئا من هذا ، أيها الناس الطيبون ؟

اوندين : سأكون أجمل ما فيك وأبسط ما فيك .. هذا ما كان يقوله . سأكون قدميك الحافيتين . سأكون ما تشربين ، سأكون ما تأكلين .. هذا ما قاله بالحرف الواحد يا أماه ! وما يجب على فعله من أجله ! ان أمضى النهار حتى منتصف

الليل لايقاظه ، أموت من أجله في اللحظة التى تلى موته ! .. أطلبت منى هذا ، نعم أو لا ! وفى نفس الوقت يحملون فى قلوبهم صورة لامعة لشيطانه يسمونها ملاكهم الأسود ..

الفارس : عزيزتى أوندين !

أوندين : أنت هو الذى أحتقره ، أنت هو الذى ألفظه !

الفارس : استمعى الىّ ..

أوندين : أراه من هنا ، الملاك الأسود ، بظل شاربه . أراه عاريا الملاك الأسود بجسده المشعر . هذا النوع من الملاك الأسود له ذيل أجعد فى تجويف كليتيه . هذا شىء معروف .

الفارس : سامحينى يا أوندين ..

أوندين : لا تقربنى .. سأقذف بنفسى فى البحيرة .

تفتح الباب . المطر يهبط فى الخارج بغزارة .

الفارس : (واقفا) أعتقد انه لا توجد برتا بعد الآن يا أوندين !

أوندين : هكذا ! خن برتا كذلك ! .. ان والدى المسكينين يحيران خجلا من تصرفك .

أوجست : لا تصدقا يا سيدى ! ..

أوندين : غادر هذا المنزل فى الحال ، أو لن أعود هنـا أبدا .. (تلتفت) ما الذى جرؤت على قوله توا ؟ ..

الفـارس : أعتقد أنه لا توجد برتا بعد الآن يا أوندين !

أوندين : انك تكذب . وداعا !

(تختفى)

الفـارس : أوندين !

يجرى ليبحث عن أوندين .

أوجست : لقد أحسنت عملا .

أوجينى : نعم .. لقد أحسنت العمل .

أوجست : ولكن خير لنا أن نخبره بكل شىء .

أوجينى : نعم بكل تأكيد يستحسن أن نقول له كل شىء .

المنظر السابع

الفارس . أوجست . اوجيني

الفارس : ليست ابنتكم أليس كذلك ؟

اوجيني : لا يا سيدى .

أوجست : كانت لنا ابنة . اختطفت فى الشهر السادس من عمرها .

الفارس : من الذى استودعكم أوندين ؟ أين يقيم الذى أودعها عندكم ؟

أوجست : وجدناها على حافة البحيرة . ولم يطالب بهـا أحـد .

الفارس : اذن بالاختصار علىّ أن أطلب يدها منكم ؟

اوجيني : انها تدعونا والديها يا سيدى .

الفارس : يا أصدقائى ، اننى أطلب منكم يد أوندين !

أوجست : سيدى ، هل أنت فى وعيك الكامل !

الفارس : فى وعيى الكامل ! لن تدعى أن هـذا القدر القليل من خمرك قد أدار رأسى !

أوجست : أوه لا ! انها خمرة خفيفة .

الفــارس : لم أكن أبدا أكثر وعيا من الآن . لم أعلم فى حياتى ما أقوله خيرا مما أقوله الآن . انتى أطلب منك يد أوندين وأنا أفكر فى يد أوندين . أريد أن أمسك بهذه اليد . أريد أن تقودنى هذه اليد فى يوم عرسى ، فى معاركى ، فى مماتى ..

أوجست : لا يمكن أن يكون للمرء خطيبتان يا سيدى .. هذا يجعل الأيدى كثيرة جدا ..

الفــارس : من هى الخطيبة الأولى ، برتا ربما ؟

أوجست : أنت الذى أخبرتنا بذلك .

الفــارس : هل تعرف برتا لتدافع عنها هكذا ؟ أنا أعرفها . أعرفها منذ أن رأيت أوندين .

أوجست : منك أنت علمنا أنها كاملة .

الفــارس : نعم ، اذا استثنينا هذه الرغوة فى زوايا شفتيها وهذه الضحكة الحادة ، تكون كاملة .

أوجست : كنت أعتقد أن الفارس المتجول مبدأه الأول أن يكون مخلصا ..

الفــارس : مخلصا للمغامرة ، نعم . وسأكون الأول فى هذا لأننا نحن الفرسان المغامرين حتى هــذا اليوم كنا سذجا . كنا نكتشف قصورا ونعود

لنسكن فى قلاع ، كنا نخلص أندروميد ليكون
لنا الحق فى خلوة . عندما نصل الى الستين .
كنا نغتصب كنوز العمالقة وكان هذا يعفينا من
الصيام أيام الجمعة .. بالنسبة لى انتهى !
لن تكون المغامرة تدريبا على الفروسية والخيال
يفرض على كل من يريد أن يصبح نائبا عاما .
من الآن فصاعدا سأكتشف سأنهب ، سأتزوج
على حسابى : سأتزوج أوندين ..

اوجست : انك مخطىء فى هذا !

الفارس : مخطىء ؟ أجبنى بصراحة أيها الصياد ! لو كان
هناك فارس يبحث فى هذا العالم عن شىء
لم يستعمل ، غير عادى ، غير متآكل . ووجد
على حافة البحيرة فتاة تدعى أوندين تحول الى
الذهب أطباق القصدير . تخرج فى العاصفة
دون أن تبتل ، لم تكن فقط أجمل فتاة رآها
فى هذا العالم وانما كان يشعر أنها هى الفرحة
وهى الحنان والتضحية . كان يشعر أنها
تستطيع أن تموت من أجله وتقوده الى النجاح
الذى لم يكن ليحققه مع غيرها . تمر من النار ،

تغطس فى الأعماق وتطير .. فحياها من كل قلبه وعاد ليتزوج من فتاة سوداء تدعى برتا !!! من كان هذا الرجل ؟

أوجست : انك لا تحسن توجيه السؤال .

الفارس : بل أسألك من كان .. ولا تجرؤ أن تجيبنى . أبله أليس كذلك ؟

أوجينى : لقد سبق لك أن وعدت بالزواج يا سيدى .

الفارس : يا عزيزتى أوجينى ، انك لا تفكرين حتى فى سؤالى عما اذا كنت سأعود لأتزوج برتا اذا رفضتم طلبى .

أوجست : اذا كانت برتا تحبك أيها الفارس فستتعلم هى الأخرى السباحة والغطس والطيران .

الفارس : كل هذا ما هو الا كلام . عندما تحبك فتاة لا تصبح الا أكثر بلاهة وأشد بللا تحت المطر ويزداد تعرضها للزكام ولزلات القدم . يكفى أن ترى منظر العروسة الولهانة فى الكنيسة .. ويتساءل الزوج من أين جاء فجأة هذا التغيير الفظيع : هذا لأنها تحب ..

أوجينى : تكلم يا أوجست !

الفارس : تكلم ! اذا كان لديك سبب لتمانع فى طلبى لأوندين قله لى !

أوجست : سيدى ! انك تطلب منا أوندين ، انه لشرف لنا . ولكننا سنعطيك ما ليس لنا ..

الفارس : هل تشك فيمن يكون والدها ؟

أوجست : المسألة ليست مسألة والدين وخاصة مع أوندين هذه المسألة لا قيمة لها . اذا لم نكن نحن قد تبنينا أوندين كانت ستجد بدوننا الوسيلة لتكبر وتعيش . لم تحتج أوندين الى مداعباتنا ولكن ما ان تمطر السماء حتى يستحيل علينا ابقاؤها فى المنزل . لم تحتج قط الى سرير ، ولكن كم من مرة فاجأناها وهى نائمة على البحيرة . هل هذا لأن الأطفال يخمنون بغريزتهم الطبيعية ، هل هذا لأن طبيعة أوندين هى الطبيعة نفسها : ان ثمة قوى هائلة حول أوندين !

الفارس : هذا لأنها فى فورة الشباب !

أوجست : هل تعتقد هذا ! عندما تزوجتك يا عزيزتى أوجينى كنت فى مثل سنها ، كنت أنت أيضا

جميلة وشجاعة وكانت البحيرة كما عرفتها
دائما منفرجة ومسورة ، والفيضان لم يكن
الا أقل الأشياء ذكاء ، وكانت العاصفة متوحشة .
منذ أن عرفت أوندين تغير كل شيء ..

الفارس : هذا لأنك أصبحت صيادا أكثر مهارة . ذلك لأنك أصبحت عجوزا .

أوجست : بحيرة لا تفسد شباكك أبدا وتعطيك دائما حاجتك من السمك ، لا واحدة أقل ولا أكثر ، مياهها لا تدخل فى قاربك حتى اذا كان فى قاع هذا القارب ثقب لم تلحظه كما حدث البارحة ، هذا شيء غير طبيعى ! ثقوب القارب تسد بالماء ، هذه أول مرة يحدث لى فيها ذلك ..

الفارس : الأم تريد الوصول ؟ الى أن أطلب يدها من البحيرة ؟

أوجست : لا تمزح !

الفارس : أن تصبح جميع بحيرات العالم أصهارا لى وجميع أنهار العالم حمواتا لى ! أقبل هذا بكل سرور ! فأنا أنسجم جدا مع الطبيعة .

أوجست : حذار ! حقيقة لا تحب الطبيعة أن تغضب من الانسان . عندها فكرة عنه فى صالحه ، شيء

فيه يأسرها أو يسلبها . انها تفخر بمنزل جميل
وبقارب جميل كما يفخر الكلب بالطوق حول
رقبته . تسمح له بما لا تقبله من أى نوع آخر ،
وتعانى المخلوقات الأخرى من نفس التهديد كل
ما هو لاذع وسام فى الزهور والزواحف ،
عنـــد اقتراب الانسان منه يفر الى الظلام ،
والا دل عليه لونه . ولكن اذا فقد الانسان
مرة واحدة رضاء الطبيعة ، فهذا هو الضياع !

الفــارس : وسأفقد رضاءها بزواجى من أوندين ؟ لم
لم تفقد رضاءها أنت عندما تبنيتها ؟ اعطونى
أوندين يا أصدقائى !

اوجست : نعطيك أوندين ! أين هى فى هـــــذه اللحظة
أوندين ! هل ستعود حقـــا أوندين ! كثيرا
عندما تختفى كنا نظن أن اختفاءها سيكون
الى الأبد ! وانظر وابحث لم يبق أى أثر منها !
لم تطلب منا أبدا أية ملابس غير التى ترتديها ،
لم يكن عندها أبدا لعب ولا صناديق .. عندما
تذهب يذهب كل شىء منها . عنـــدما تذهب
لا تعود أبدا . ان أوندين حلم ! لا توجـــــد

أوندين . هل تعتقدين أنت فى وجود أوندين يا أوجينى ؟

أوجينى : أعتقد أنك بدأت تفقد صوابك ، يا أوجست المسكين . هذا من تأثير الخمر .. انها خائنة .. هذا كحاله مع الترترة الذهبية .

أوجست : آه من أجل هذه الترترة !

الفارس : انك تخطرف فيما يخص الترترة . فيما يخص أوندين ها أنذا أتساءل الآن اذا لم تكن على حق .. اننى مثلك .. اننى فى حلم ..

أوجست : اننى أتذكر بدون شك أننى رأيت صغيرتى أوندين . انى أذكر صوتها وضحكتها . مازلت أراها وهى تقذف سمكتك التى تزن ربع كيلوجرام ، ولكنها لن تظهر بعد الآن ، لن تعطينا اشاراتها الا عن طريق ضوء البرق والعواصف الصغيرة ، لن تقول لنا انها تحبنا الا عن طريق الأمواج وهى تتقاذف على أقدامنا ، وقطرات المطر على وجوهنا ، أو سمكة من البحر فى سلتى الخاصة بأسماك الأنهار الحلوة ان هذا لن يدهشنى ..

اوجينى : معذرة يا سيدى ! ما من مرة يشرب فيها الا ويبدأ فى الهذيان !

أوجست : ولم أقل كل شىء لفارسنا ! كيف كان حصى الشاطىء ورماله حول مهد أوندين حيث وجدناها ! كان عليها آثار حبيبين قاما لتوهما من على الرمال . وكانت هذه الآثار كثيرة مائة أو ألفا .. كما لو كان ألف زوج من الأحبة تعانقوا على شاطىء البحيرة وكانت أوندين ابنتهم ..

أوجينى : ها قد بدأ من جديد !

أوجست : ولم يكن هناك أثر لابهام قدم ، هل تسمعتى ! مئات الأجسام ولا قدم واحدة ! ..

أوجينى : اسمح لنا بالذهاب للنوم يا سيدى !

أوجست : بصمات حديثة كلها مفروشة بالصدف والميكا ..

أوندين : عدنا ثانية الى الميكا ! انه متعب حا .. تعالى يا أوجست ! سنتكلم عن أوندين غدا .

أوجست : اذا عادت !

الفارس : عادت أو لم تعد .. سأنتظرها ..

(يتمدد فى مقعده) .

المنظر الثامن

الفارس ثم أوندين

داخل الكوخ يصبح شفافا وتظهر احدى جنيات البحر

الجنية : خذني أيها الفارس الجميل .

الفـارس : ماذا ؟

الجنية : قبلني !

الفـارس : تقولين ؟

الجنية : قبلني أيها الفارس الجميل .

الفـارس : أقبلك ؟ لماذا ؟

أوندين : (تظهر فجأة) كم أنت محـــدودة التفكير ! ما أغبى منظرك !

تختفي جنية البحر .

الفـارس : (يأخذ أوندين بين ذراعيه) يا صــــغيرتي أوندين ، ما هذه المهزلة !

آوندين : انها احـــدى هـــذه الجارات الغيورات .
مع أول امرأة تقابلها وان أية ساقطة يمكنها ان تغريك ..
انهن لا يريدوننى أن أحبـك ! يقولون انك ستخوننى !

الفـارس : فليأتوا يا حبيبتى الغالية !

(رؤيا جديدة) .

الجنية : لا تأخذنى !

الفـارس : ماذا تقول هذه الأخرى الآن ؟

الجنية : لا تأخذنى أيها الفارس الجميل ! لا آكل من هذا الخبز !

الفـارس : من أى خبز ؟

آوندين : بما أن الفجور لم يهزمك فهن يدعين أنك بالحياء
سرعان ما تقع فى حبائلهن .. يقولون ان جميع الرجال المساكين هم كذلك ..

الفـارس : لا بأس بهذه . هل هى أجمل من سيرسلون بها الى ؟

آوندين : لا ! انها أكثرهن ذكاء .

(الجنية تختفى وتظهر اخرى) .

الفـارس : وواحدة أخرى أيضا !

اوندين : آه ! لا ! لم تعد هذه لعبة ! لم يكن ليحق لكن أن تأتين أكثر من اثنتين .

الفـارس : دعيها ، انها تتكلم ..

اوندين : فلتذهب ! انها أغنية الثلاث أخوات . لا يستطيع مقاومتها أحد من جان البحر .

الفـارس : تكلمى أيتها الكائنة الصغيرة !

(الجنية الثالثة) .

هانز ويتنشتين زتسوو ويتنشتين
بدونك تصبح الحياة قبرا
كل ما تملكه ملك لى
اعشقنى ولا تذقنى هجرا

الفـارس : أجدت . ان هذا لساحر !

اوندين : فيم هو ساحر ؟

الفـارس : انه بسيط ، انه ساحر . لابد وأن هذا هو غناء جنيات البحر .

أوندين : انه هو بالفعل ! لقد قلدوه ! .. ها هى الأخت الثانية ! لا تستمع اليها !

(جنية ثانية تصطف بجانب الأولى) .

الفارس : ألا تثقين بى ؟

أوندين : آه يا حبيبى ، لا تستمع اليها !

الفارس : لم تكن أربطة أو ليس شيئا بجانب ذراعيك !

أوندين : هيا أنت ! ابدئى ! واسرعى .

(الجنية الرابعة) .
احيانا أفكر فيك بقوة
فتتقلب على فراشك
وتقبلنى وانت نائم
فتحيينى من الموت

أوندين : انتهى ، أليس كذلك ؟

الفارس : لا لم تنته بعد لحسن الحظ ! ها قد أتت الثالثة .

أوندين : ألا ترى أنه ليس لها سيقان . ساقان منفصلتان.. ألا ترى أن لها ذيلا .. اطلب منها أن تخطو خطوة واسعة لترى .. أما أنا ، فاننى أنثى حقيقية .. أنا أستطيع أن أفعل هذا .. انظر !

الفارس : ما هذا الذى تقولين ! تفضلى يا آنسة !

أوندين : اذا كنت تعتقد أنه مبهج أن نسمع من الآخرين ما نفكر فيه ولا نستطيع أن نقوله .

الفـارس : انه نصيب جميع الرجال ما عدا ڤولفرام فون اشنباخ فهو وحده يستطيع أن يقول ما لا يفكر فيه .. صه !

الأخت الخامسة للجنيات .
فى المساء عندما أوقد النار
وعندما يدخل الراعى وكلابه الدار
أفكر فيك يا من تحبنى قليلا
فأبكى وقد احمر الموقد من النار .

الفـارس : هذا رائع ! فلتعد قوله . ستحفظينه عن ظهر قلب لنحيى به ليالينا ..

أوندين : أنت ، لا تبقى دقيقة واحدة أكثر من هذا ! هيا اذهبى الى حالك !

الجنية : لقد خسرت يا أوندين . لقد خسرت !!

الفـارس : ماذا خسرت ؟

الجنية : رهانها ! يأخذك بين ذراعيه يا أوندين وينظر الى . يقبلك ويستمع الى . سوف يخونك .

أوندين : ألا تعلمين أن العادة جرت عند الرجال أن يعبروا عن غرامهم بواسطة بعض البلهاء مثلك يغنون أو ينشدون .. يسمونهم شعراء . انك شاعرة . انك بلهاء .

الجنية : اذا كنت تسمحين له بأن يخونك مع الموسيقى والجمال ، لا تتحرجى لقد خسرت !

أوندين : لا انه يسخر منكن . لقد كسبت .

الجنية : اذن أستطيع أن أقول انك تقبلين ؟ وان اتفاقنا قائم ؟

الفارس : أى اتفاق ؟

أوندين : نعم تستطيعين قول ذلك . تستطيعين قوله الى الحسد الى الغيرة الى الغرور ..

الجنية : حسن جدا !

أوندين : للذى يتكاثر ، للذى يعوم ، للذى يصنع العنبر ، للذى له شوكة ، للذى يبيض بالبلايين .

الجنية : سترين ما اذا كان مشوقا كونك من الاحياء !

الفارس : يا للشياطين ، ما هذا الذى تقولونه !

أوندين : اذهبى وقولى لهم ! اذهبى ..

الجنية : دقيقة واحدة وسيعرفون . والذى أعنيه بينهم ؟

أوندين : عليه اللعنة هذا الذى تعنين .

تختفى الجنية .

الفارس : يا لها من طريقة للتفاهم ! يا له من هيجان .

أوندين : نعم ، انها الأسرة !

المنظر التاسع

أوندين . الفارس . جالسان . تلف ذراعيها حوله

أوندين : لقد وقعت فى الشرك هذه المرة أليس كذلك ؟

الفــارس : روحا وجسدا ..

أوندين : لن تقاوم بعد الآن .

الفــارس : اننى لا أستطيع الحركة من فرط السعادة ..

أوندين : استغرق هذا عشرين دقيقة .. تحتاج سـمكة البلميطة لثلاثين .

الفــارس : بل استغرق هذا طول حياتى . منـذ طفولتى كانت السـنارة تنزعنى من على مقعدى ومن قاربى ومن فوق جوادى .. كنت تجذبيننى نحوك ..

أوندين : انه فى القلب أليس كذلك ؟ ليس على الشفاه أو على الخد ؟

الفــارس : بعيد جدا بحيث لا يمكنك اقتلاعه أبدا ..

أوندين : هل أطلب الكثير ، اذا طلبت منك أن تكف عن كنايات الأسماك وتقول لى انك تحبنى !

هـــانز : (وقد ركع على احدى ركبتيه) لا . هأنذا أقولها . أحبك .

أوندين : هل قلتها قبل الآن ؟

الفـارس : قلت كلمة مشابهة لهذه ولكنها كانت العكس .

أوندين : هل قلتها كثيرا ؟

الفـارس : لكل اللاتى لم أحبهن .

أوندين : أريد التفاصيل ! قل لى انتصاراتى ! قل لى من تهجر من أجلى !

الفـارس : لا شىء تقريبا .. لا شىء .. كل النساء ..

أوندين : الشريرات ، الوضيعات ، ذوات الذقون ؟

الفـارس : الطيبات ! الجميلات !

أوندين : آه يا هانز ! كنت أود أن أقدم لك العـــالم هدية ، وهأنذا أسحب منك أجمل نصف فيه . سيأتى اليوم الذى تحقد فيه علىّ ..

الفـارس : لن يساوين شيئا بالقرب منك . سترينهن ..

أوندين : سأراهن أين ؟

الفـارس : هناك حيث يوجدن . فى الملاهى ، على حافة

الآبار ، عند اليونانيين بائعى القطيفة . سنرحل غدا ..

أوندين : هل تريد أن نغادر الآن منزلنا وبحيرتنا ؟

الفـارس : أريد أن يرى العالم أكمل ما يملك .. ألا تعلمين أنك أكمل ما فى الوجود !

أوندين : أشك فى ذلك . ولكن هل للعالم عيون ليراه ؟

الفـارس : وأنت أيضا سترينه . لا يمكنكما أن تستمرا فى جهل كل منكما للآخر ان العالم جميل جدا يا أوندين !

أوندين : آه يا هانز ، من هذا العالم أريد معرفة شىء واحد فقط . هل يفترقون فى هذا العالم ؟

الفـارس : ماذا تريدين أن تقولى ؟

أوندين : أفترض ملكا وملكة ، يحب كل منهما الآخر . هل يفترقان ؟

الفـارس : لا أفهم ما تقصدين ؟

أوندين : سأوضح لك ذلك . خذ مثلا كلاب البحر . اننى لا أميل بشكل خاص الى كلاب البحر ، يبدون دائما كما لو كانوا مبحوحى الصوت . انهم ليسوا كذلك ولكن عندهم حبال صوتية وبما

أنهم يفتحون دائما فمهم لذلك يجف الملح على شعيبات الرئة ..

الفارس : انك تخطرفين بكلابك البحرية هذه ؟ ..

أوندين : لا ! لا ! انه مثال . اذا ما تزاوج كلاب البحر يا هانز فهما لا يفترقان أبدا بعد ذلك يسبح الواحد منهما على قيد أنملة من الآخر ، آلاف الكيلومترات دون أن تبتعد رأس الأنثى بأكثر من رأس خلف الذكر .. هل الملك والملكة يعيشان كذلك فى مثل هذا القرب ؟ الملكة تتخلف قليلا الى الوراء مراعاة لأصول اللياقة .

الفارس : تحقيق ذلك صعب . الملك والملكة لكل منهما جناحه الخاص وعربته الخاصة وحدائقه ..

أوندين : لكل ، ما أبشعها كلمة ! ولماذا ؟

الفارس : لأن لكل منهما مشاغله وأوقات فراغه ..

أوندين : ولكن لكلاب البحر أيضا مشاغل مختلفة تمام الاختـــلاف ! عليهم أن يأكلوا وعليهم أن يصطادوا ، يطاردون أحيانا صفوفا من ملايين الرنجة التى تتفرق أمامهم الى ملايين تمر بسرعة البرق . ويكون لديهم ملايين الأسباب

ليذهب أحدهم الى الشمال والآخر الى اليمين
ومع هذا يعيشان طول حياتهما متلاصقان
ومتوازيان يكاد لا يفصل بينهما خط .

الفارس : انني أخشى أن يكون في امكان الحيتان أن تمر عشرين مرة في اليوم الواحد بين الملك والملكة . الملك يراقب وزراءه والملكة من يعتنون بحدائقها . يحملهما تياران .

أوندين : تماما فلنتكلم عن التيارات : على كلاب البحر أن تقاوم عشرين تيارا ، مائة تيار ! هناك تيارات شديدة البرودة وتيارات حارة . كان من الممكن لكلب البحر أن يحب التيارات الباردة ولكلبة البحر أن تحب التيارات الدافئة .. تيارات أقوى من المد والجزر تشج القوارب ومع هذا لا تفرق قيد أنملة بين ذكر كلاب البحر وأنثاه ..

الفارس : هذا يثبت أن الرجال وكلاب البحر نوعان مختلفان .

أوندين : وأنت ! لن تتركني ولا ثانية ! ، هذا أمر مفروغ منه ، ولا حتى على بعد متر .. فمنذ

أن أحببتك تبدأ وحدتى على بعد خطوتين منك .

الفارس : هو ذاك يا أوندين .

أوندين : احتكاك كل منا بالآخر أقل ايذاء مما لو غاب كل منا عن الآخر .

الفارس : الام تريدين الوصول يا صغيرتى أوندين ؟

أوندين : آه يا هانز ، استمع لى . أعرف شخصا يستطيع أن يجمعنا الى الأبد . شخص قوى جدا سيعمل على أن نكون ملتحمين أحدنا بالآخر كما يحدث لبعض التوائم ، أتريد أن أناديه ؟

الفارس : وأذرعنا يا أوندين ، أهى فى اعتبارك لا شىء ؟

أوندين : يستخدم الرجال أذرعهم على الأخص فى التخلص . أوه لا ، كلما فكرت ، كلما رأيت أنها الوسيلة الوحيدة لكى لا يصبح الزوج والزوجة تحت رحمة رغبة أو مزاج . الصديق الذى سيجمعنا موجود هنا . وسيقبل . ما عليك الا أن تقول كلمة !

الفارس : هل كلابك البحرية هذه ملتحمة ببعضها ؟

أوندين : هذا صحيح . ولكنهم لا يخرجون الى دنيا الناس . سيربطنا من وسطنا بحزام من اللحم . لقد فكرت فى ذلك . وسيكون مرنا ولن يمنعنا من أن نتعانق .

الفارس : والحرب يا صغيرتى أوندين ؟

أوندين : تماما . سأكون فى الحرب معك . سنكون الفارس ذا الوجهين . سيفر الأعداء . وسنشتهر . أناديه ، أليس كذلك ؟

الفارس : والموت ؟

أوندين : تماما . لن نستطيع فك الحزام . لقد فكرت فى كل هذا . سترى كم سأكون رزينة ، سأقفل أذنى وعينى . لن تشعر أننى ملتصقة بك .. أأناديه ؟

الفارس : لا . سنجرب أولا هكذا كما نحن يا أوندين وبعد ذلك سنرى .. لن تخشى شيئا لهذه الليلة فقط .

أوندين : بلى .. اذا كنت لا تعتقد أننى أرى فيما أنت تفكر .. هذا واضح تقول عندها حق سأضمها

طول النهار وطول الليل ولكن من حين لآخر سأتركها لحظة لأستنشق الهواء لألعب النرد ..

الفارس : لأذهب وأرى جوادى ..

أوندين : نعم ، نعم ، امزح ! اننى متأكدة من أنك تنتظر منامى لتذهب وترى جوادك . وتقول فى سريرتك عندما ينام هذا الملاك ، هـذا الملاك الذى لن أهجره ولا دقيقة واحدة ، سأخرج لمدة دقيقة كبيرة كاملة لأرى جوادى.. ستنتظر منامى طويلا .. أنت الذى سينام ..

الفارس : اننى أشك فى ذلك يا حبيبتى أوندين .. ستبقينى السعادة ساهرا طول الليل .. على العموم علىّ أن أذهب لأرى جوادى . ليس فقط لأننا سنرحل مع الفجر .. ولكن لأننى أقول له كل شئ .

أوندين : حقا ؟ حسن !

الفارس : ماذا تفعلين ؟

أوندين : لهذه الليلة أصنع حزامى بنفسى . أيضايقك أن ألف هذا الرباط حول وسطينا ؟

الفارس : لا يا حبيبتى .

أوندين : وهذه السلسلة ؟

الفارس : لا يا حبيبتى .

أوندين : وهذه الشبكة ؟ .. سترفعها بمجرد أن أنام . أنظر ها أنذا أتثاءب .. طاب مساؤك يا حبيبى .

الفارس : مفهوم .. ولكن لم يرتبط رجل وامرأة فى هذا العالم بمثل هذا القرب .

(أوندين تعتدل فجأة) .

أوندين : حقا ! اذن نم أنت الآن !

بيديها تقذف النوم على الفارس الذى ينام فى الحال .

جنية : وداعا يا أوندين ..

أوندين : اعتن أنت بالمائتى سمكة من حيتان سليمان المجروحين . واعتنى بسميكات المحاقن . اذهبى بالفريقين فى الفجر تحت الشلال البحرى ، وفى الظهر تحت النباتات المائية . احترسى من هذا النهر المسمى بالرين انه ثقيل جدا عليهم .

جنية : وداعا يا أوندين ..

أوندين : ستخلفيننى أنت فى حفظ اللآلى . ستجدينها كلها فى قاعة الكهف .. صنعت منها رسما ،

اتركيه بضعة أيام .. لن يعنى هذا شيئا بالنسبة لك . اذ لابد من معرفة القراءة .. انه اسم ..

ملك جنيات البحر : للمرة الأخيرة ، لا تخونينا ! لا تذهبى عند الرجال !

أوندين : أنا ذاهبة الى رجل .

ملك جنيات البحر : سيخونك .. سيهجرك .

أوندين : لا أصدق ..

ملك جنيات البحر : اذن اتفاقنا سار ، أيتها البلهاء الصغيرة ! .. هل تقبلين الاتفاق ، اذا خانك يا عار البحيرات !

الفارس : وهو يتقلب فى نومه : أوندين ! .. يا فخر البحيرات .

أوندين : كم يريح المرء أن يكون له فمان ليجاوب !

ستار

الفصل الثاني

قاعة الشرف فى القصر الملكى

حاجب القصر – مدير المسارح – مدرب الفقمات – ملك جان البحر فى هيئة ساحر

الحاجب : أيها السادة ، اننى أعتمد على ابتكاركم وارتجالكم على السواء . بعد لحظات سيستقبل الملك فى هذه القاعة فارس ويتشتين الذى قرر أخيرا بعد مرور ثلاثة من شهور العسل أن يقدم زوجته الى البلاط . وتعتقد سموها أن الاحتفال المبجل يجب أن يختم ببعض الترفيه .. أنت يا سيدى مدير المسارح الملكية ماذا تقترح علينا .

المدير : سلامبو !

الحاجب : سلامبو مسرحية حزينة ! كما أنك قدمتها لنا يوم الأحد الماضى بمناسبة نهاية عام مارجراف .

المدير : حزينة ولكنها معدة ..

الحاجب : معدة أكثر من أورفيه التى تمدها حدائق حيوان القصر الملكى بالذئاب والغرير ؟ معدة أكثر من مسرحية آدم وحواء التى لا تحتاج بتاتا الى ملابس ؟

المدير : يا صاحب السعادة ، ان شهرتى المسرحية مصدرها أننى كنت الأول فى تفهم أن لكل مسرحية تسهيلاتها وعوائقها ، وأن التعجل لا يأتى بفائدة ..

الحاجب : أيها المدير ، ان الوقت يضيق علينا الخناق !

المدير : فى الواقع ، كل مسرح لم ينشأ الا من أجل مسرحية واحدة ، والسر الوحيد فى النجاح فى ادارته هو أن تكتشف هذه المسرحية . وهذا عمل شاق خاصة اذا لم تكن قد كتبت بعد . ومن هنا آلاف النكبات ، الى اليوم الذى تحت شعور ميليزاند أو درع هكتور يدخل فيه مفتاحه وتدخل فيه روحه واذا جرؤت على القول جنسه ..

الحاجب : أيها المدير ..

المـــدير : لقد قمت بادارة أحد المسارح وكان خاليا مع روائع الأدب التقليدى (الكلاسـيكى) ولم يعرف النجاح الا مع مهزلة جنسية فقد كان مسرحا أنثى .. وآخر لم يعرفه الا مع جوقة قبة الفاتيكان فقد كان مسرحا مقلوبا .. واذا كنت قد أغلقت مسرح البارك فى العام الماضى فقد كان هذا مراعاة للصالح العام وأصـول اللياقة لأنه لم يكن يحتمل الا مسرحيات السفاح ..

الحـاجب : ومفتاح مسرحنا الملكى هو سلامبو ؟

المـــدير : لقد قلتها بنفسك . لمجرد ذكر اسـم سلامبو يرتخى هذا القابض الداخل مع الأسـف فى تكوين بلعوم مغنيينا ويعطينا أصواتا نشـاذا بعض الشىء ولكنها رنانة . ورافعة الأثقال التى تصدأ وتتعقد مع فاوسـت تدور فجـأة بكل سرعتها . والأعمدة التى يعجز عن رفعها عشرات العمال الا بعد أن تشتبك منهم فى الستائر يقيمها بلمسة من أصبعه عامل ديكور واحد وتفـوق فى وضوحها مناظر الزهور المنثورة . ويهرب

الحزن والعصيان والتراب على جناح السرعة من هذه الأماكن مع الحمام . وفى بعض الأحيان بينما أقدم احدى الأوبرات الألمانية ، أرى من مقصورتى أحد المغنيين ينتفض نشوة ويلقى بغنائه بأعلى صوته ويسيطر على الموسيقى بحيويته المندفعة ويثير فى الجمهور التصفيق والارتياح . هذا لأنه بينما يغنى زملاؤه بأمانة أدوارهم عن أهل الشمال اذا به عن غير قصد يغنى دوره فى مسرحية سلامبو . نعم يا صاحب السعادة لقد لعب مسرحى سلامبو آلاف المرات ومع هذا فهى المسرحية الوحيدة التى أستطيع أن أطالبهم بارتجالها .

الحاجب : آسف . ليس من اللائق أن نعرض على حبيبين النهاية المفجعة للحب . الى يا هذا ، من أنت ؟

المدرب : اننى مدرب عجول البحر يا صاحب السعادة .

الحاجب : وماذا تفعل عجول البحر هذه ؟

المدرب : لا تغنى سلامبو يا صاحب السعادة .

الحاجب : انها مخطئة فى ذلك ، عجول بحر تغنى سلامبو كم يكون هذا مسليا فى فترات الاستراحة .

وعلى العموم لقـــد قالوا لى ان عجل البحـــر
الذكر الملتحى يشبه حما ملكنا ؟

المـدرب : أستطيع أن أحلق ذقنه يا صاحب السعادة .

الحـاجب : من مساوىء المصادفة ان حما ملكنا حلق ذقنه البارحة .. فلنتحاش ظل فضيحة .. تقدم أنت الأخير ! من أنت ؟

الساحر : اننى ساحر يا صاحب السعادة .

الحـاجب : وأين أدواتك ؟

الساحر : اننى ساحر بدون أدوات .

الحـاجب : لا أحب المـزاح . لا يمكن اظهار نجم مذيل ولا يمكن اظهار مدينة ايس من الميـــاه التى ابتلعتها وخاصة ونواقيسها تدق من غـــير أدوات .

الساحر : بلى .

(يمر نجم مذيل وتظهر مدينة ايس فوق الماء)

الحـاجب : لا تنفع بلى . لا يمكن ادخال حصان طرواده والشرر يتطاير من عينيـــه ولا يمكن اقامـــة الأهرامات ومن حولها الجمال من غير أدوات .

(يدخل حصان طروادة.وتظهر الاهرامات.)

الساحر : بلى .

الحاجب : يا له من عنيد !

الشاعر : يا صاحب السعادة ! ..

الحاجب : اليك عنى ! لا يمكن اظهار شجرة ياهوذا ولا يمكن اظهار فينوس عارية بجانب الحاجب الأول من غير أدوات .

(تظهر ڤينوس بالقرب من الحاجب)

الساحر : بلى .

الشاعر : يا صاحب السعادة ! .. (ينحنى) .. سيدتى !

(تختفى فينوس)

الحاجب : (مذهولا) كنت أتساءل دائما من تكون هاته النسوة اللاتى تظهرونهن أنتم السحرة . نساء عاديات ؟

الساحر : أو فينوس شخصيا . هذا يتوقف على نوع الساحر .

الحاجب : هذه التى أظهرتها تبدو على كل حال أكيدة .. وما هو مشروعك ؟

الساحر : اذا سمحتم سعادتكم ستوحى الى الظروف .

الحاجب : هذا معناه أن أثق فيك ثقة عظيمة .

الساحر : اننى تحت أمرك ، لأقدم لك فى الحال كتجربة نمرة ترفيهية شخصية .

الحاجب : أرى أنك تستطيع أيضا قراءة الأفكار .

الساحر : بما أن الفكرة التى تشغلك هى التى تشغل كل البلاط فهذا يقلل من مواهبى . نعم ياصاحب السعادة ، أستطيع كما تتمناه وكما تتمناه جميع سيدات المدينة أن أجابه وجها لوجه رجـــلا وامرأة يتحاشى كل منهما الآخر منـــذ ثلاثة شهور .

الحاجب : هنا فى هذا المكان ؟

الساحر : وفى الحال . سأعطيك من الوقت ما يســمح بدعوة الفضوليين .

الحاجب : أنت واهم . حقيقة هذه هى مهنتك ولكن فكر قليلا أن الرجل الذى تتحدث عنه يعتنى الآن باللمسات الأخيرة فى زينة زوجته التى ستظهر بها فى البلاط ويتأملها بسعادة . والسيدة من ناحيتها أقسمت عن كراهية وغيرة ألا تظهر فى البلاط .

الساحر : نعم ولكن افترض أن أحد الكلاب خطف قفاز الزوجة الشابة وحمله نحو هذه القاعة .. ! ماذا

يفعل الزوج ؟ وافترض أن طائر السيدة يهرب من قفصه ويطير نحو هذا المكان ؟ الطائر الذى تحبه ..

الحاجب : لن يساعدك ذلك فى نجاح خطتك اذ أن من أهم الأوامر الصادرة الى الحارس هو أن يمنع الكلاب من الاقتراب من الحجرات الملكية . ويطير صقرا الأمير فى حرية ومن غير كمامات بالقرب من القفص .

الساحر : نعم .. ولكن افترض أن الحارس ينزلق على بعض قشور الموز وأن غزالا يلهى الصقور عن الطائر .

الحاجب : موز وغزلان انها أشياء لا توجد فى هذا البلد .

الساحر : نعم .. لا .. من مدة ساعة ، فممثل افريقيا كان يقشر واحدة من هذه الفاكهة عندما كان يتبعك لمقابلة الملك ومن بين هداياه رأيت حيوانات الصحراء . لن تكون لك الكلمة الأخيرة مع السحر يا صاحب السعادة . صدقنى ! .. اعط الاشارة ، وليتخذ الفضوليون أماكنهم وسترى قادما فى هذا المكان برتا والفارس ..

الحاجب : أخبروا السيدات !

الشاعر : يا صاحب السعادة . لماذا تقدم على مثل هذا العمل البشع ؟

الحاجب : سيتم فى يوم أو فى آخر . أنت تعرف ألسنة البلاط .

الشاعر : هذه صناعتهم . ولكنها ليست صناعتنا .

الحاجب : أيها الشاعر العزيز ، عندما تصبح فى مثل سنى ستجد آن الحياة مسرحا لم يزل فيه بعض النشاط . ولكن تنقصه الادارة بدرجة لا تتصورها . رأيته دائما يؤخر الفصول التى يجب أن تحدث ويخفف من وقع النهايات وعندما يصل الذين يجب أن يموتوا فيه من الحب يكون هذا بعد جهد وفى شيخوختهم . وما دام فى متناول يدى ساحر سأقدم لنفسى هذه المتعة وأرى الحياة تجرى بالسرعة وبالدرجة التى يريدها ليس فقط الفضول وانما الرغبة البشرية ..

الشاعر : اتخذ ضحية أقل براءة .

الحاجب : هذه الضحية البريئة يا صديقى جعلت فارسا يتحلل من وعوده وعقابها آت ان آجلا أو عاجلا ،

اذا تقابل الفارس وبرتا وتفاهما اليوم سيوفران علينا الفترة الزمنية التى تتطلبها الحياة . اذا تلامست أيديهما فى الصباح واذا تبادلا القبلات فى المساء بدلا من تأخير قبلاتهما للشتاء أو الخريف فلن يغير هذا من مجرى الحوادث . ولكنها ستكون أكثر صدقا وأكثر قوة وكذلك أكثر نضارة . هذه هى ميزة المسرح على الحياة ، لن تفوح منها رائحة النتن .. هيا ابدأ أيها الساحر ! .. ما هذه الضوضاء ؟

غلام من خدم الملك : انه الحارس يسقط على الأرض .

الحاجب : كل شىء يسير سيرا حسنا .

الشاعر : يا صاحب السعادة ! انه عمل شنيع أن ندفع بعجلة الحياة ! انك تلغى العاملين المنقذين : الغفلة والكسل . من قال لك ان الفارس وبرتا عن اهمال أو عن رتابة الحياة لم يكونا ليتجنب كل منهما الآخر طوال حياتهما .. ما هذه الصيحة ؟

غلام من خدم الملك : انه غزال فقأت عينيه الصقور .

الحـاجب : هذا رائع ! فلنختبىء .. هل تعتقد أيها الساحر أنه يمكنك الاحتفاظ بهذه السرعة فى مجرى الحوادث .

الساحر : ها هو الطائر ..

المنظر الثانى

برتا . الفارس

الفـارس : (وهو يلتقط قفازا) أخيرا وجدتك !

برتا : (وهى تمسك بالطائر) أخيرا أمسكت بك !

(يذهب كل من ناحية دون أن يرى أحدهما الآخر)

المنظر الثالث

المتفرجون المختبئون يمدون رؤوسهم ويتململون

الشاعر : آه اننى أتنفس ! ..

السيدات : هل تسخر منا أيها الحاجب ؟

الحـاجب : ما هذه الدعابة أيها الساحر ؟

الساحر : انها غلطة من الادارة كما تقول . سأصلحها .

الحـاجب : هل سيتقابلان نعم أم لا ؟

الساحر : حتى لا ندع مجالا للشك فى تقابلهما سأجعلهما يصطدمان .

(الجميع يختبئون خلف الأعمدة) ......

المنظر الرابع

برتا . الفارس

الفــارس : (يلتقط القفاز الآخر) ها هو القفاز الآخر .. !

برتا : (تمسك بالطائر) آه ! ما زلت تريد الهرب !

(يصطدمان بعنف برتا تكاد تقع هانزيمسك بيدها . يتعرف كل منهما على الآخر)

الفــارس : آه انى آسف يا برتا !

برتا : آسفة أيها الفارس .

الفــارس : هل آلمتك ؟

برتا : لم أشعر بشىء على الاطلاق .

الفــارس : انتى حيوان .

برتا : نعم ..

(يشرعان فى الخروج ببطء ، كل من ناحية، برتا تتوقف أخيرا)

برتا : هل كانت رحلة زواجك سعيدة ؟

الفــارس : كانت رائعة ..

برتا : شقراء أليس كذلك ؟

الفـارس : شقراء تمر الشمس حيث تمر .

برتا : ليالى مشمسة . أنا أفضل الظلال .

الفـارس : لكل ذوقه .

برتا : اذن لابد وأنك قاسيت يوم رحيلك عندما قبلتنى فى ظل شجرة البلوط هذه ؟

الفـارس : برتا !

برتا : أنا لم أقاس .. كان ذلك يروق لى جدا ..

الفـارس : ان زوجتى بالقرب من هنا يا برتا !

برتا : كنت سعيدة بين ذراعيك ، كنت سعيدة سعادة أبدية !

الفـارس : أنت التى تخلصت من هذه الأذرع ! وأخذتنى عن غرور بين صديقاتك دون أن تضيعى دقيقة واحدة لغرض لا أعلمه ! ..

برتا : حتى دبل الخطوبة يخلعونها لعرضها على الناس ..

الفـارس : آسف . الدبلة لم تفهم .

برتا : فعلت ما تفعله الدبل .. تدحرجت .. تحت سرير ..

الفـارس : ما هذا الأسلوب ؟

برتا : لابد وأننى أخطأت بكلامى عن السرير .. ينام الناس عند الفلاحين فى مخازن القمح عـلى القش .. لابد وأنكم اضـطررتم الى تنظيف ثيابكم مما علق بها فى صباحية ليالى غرامكم ؟

الفـارس : أرى من حديثك أنك لم تحصلى بعد عـلى لياليك .

برتا : لا تشغل نفسك بها . سوف تأتى .

الفـارس : لا أشـك فى هذا . ولكن اذا أردت نصيحة ففضلى حبك على نفسك لا تتركيه يبتعد عنك .. عـلى البعد مهما كنت تعتقدين فان ملامحك تتلاشى .

برتا : اطمئن . لن أتركه بعد الآن ..

الفـارس : مهما يكن لا تلقيه ارضاء لأنانيتك بعيدا نحو المخاطر العقيمة والموت ..

برتا : يبدو أن الرعب قد استولى عليك فى هـــذه الغابة ؟

الفـارس : يقولون عنك أنك متعـــالية . لا ترددى فى

الاندفاع نحوه عندما ترينه وعلى تقبيله أمام جميع من فى البلاط .

برتا : كانت هذه نيتى .. حتى لو كنا بمفردنا !

(تقبل الفارس وتريد أن تهرب. يمسك بها)

الفارس : آه يا برتا ! أنت الكرامة . أنت الكبرياء !

برتا : أنا الذل .. أنا السفاهة ..

الفارس : أية لعبة تلعبينها الآن ؟ ماذا تريدين ؟

برتا : لا تضغط على يدى انها تمسك بعصفور .

الفارس : أنا أحب زوجتى . ولن يفرق بيننا شىء .

برتا : انه طائر الصعو . ستخنقه !

الفارس : لو كانت الغابة ابتلعتنى لما كنت حملت لى ذكرى . وها أنذا أعود سعيدا وسعادتى غير محتملة لديك .. اتركى هذا العصفور !

برتا : لا ، ان قلبه ينبض بجانب قلبى ، وأنا أحتاج فى هذه اللحظة الى هذا القلب الصغير .

الفارس : ما هو السر الذى تخفينه ؟ بوحى به !

برتا : (وهى تريه العصفور ميتا) . ها هو .. لقد قتلته .

الفارس : آسف يا برتا !

(يركع باحدى ركبتيه على الأرض ، برتا تنظر اليه لحظة)

برتا : سرى يا هانز ؟ سرى هو غلطتى ؟ كنت أظن أنك قد فهمته . هذا لأننى اعتقدت فى المجد . ليس مجدى أنا وانما مجد الرجل الذى أحببته والذى اخترته منذ طفولتى هذا الرجل الذى جذبته ذات مساء تحت شجرة البلوط التى نقشت اسمه عليها وأنا طفلة صغيرة .. كان الاسم يكبر كذلك كل عام ! .. اعتقدت أن المرأة ليست الدليل الذى يصحبك الى المائدة والى الراحة والنوم وانما التابع الذى يجمع للصياد الأصيل كل ما اصطاده مما يحويه هذا العـــالم من مخلوقات لا يمكن التغلب عليها والامساك بها . كنت أشعر بقوة تمكننى من أن أطلق عليك الحصـــان ذا القرن الأوحـــد والتين وحتى الموت . اننى سمراء وقد اعتقدت أنه فى هذه الغابة سيكون خطيبى فى نورى وأنه فى كل ظل سيرى شكلى وفى كل ظـــلام سيشعر بحركتى . كنت أريد أن أدفع به فى قلب هـــذا الشرف ومجـــد الظلمات التى لم أكن الا صدى لصوتها وأبسط رمز لها . لم أكن

خائفة . كنت أعرف أنه سينتصر على الظلام بما أنه انتصر على أنا . كنت أريده أن يصبح الفارس الأسود . هل كان بوسعى أن أتصور أنه فى احدى الليالى ستنفرج فروع أشجار الصنوبر كلها أمام رأس شقراء ؟

الفارس : هل كنت أنا نفسى أتصور هذا ؟

برتا : هذه هى غلطتى وقد اعترفت بها . لن تسألنى عنها بعد الآن . لن أنقش أسماء بعد اليوم على أشجار البلوط .. رجل وحده مع المجد ، هذا سخيف . سيدة وحدها مع المجد ، هذا مضحك .. اننى أكفر عن خطئى .. وداعا ..

الفارس : آسف يا برتا ..

برتا : (تأخذ من يده العصفور) هاتها .. سآخذها ..

يخرج كل من ناحيته .

المنظر الخامس

الحاجب . الساحر . الشاعر

الساحر : ها هو .. ها هـــو المنظـر الذى لم تكونوا لتشاهدوه الا فى الشتاء القادم ، فى حالة عدم لجوئكم الى خدماتى !

الشاعر : انه كاف جدا ! .. فلنتوقف !

الحاجب : بكل تأكيد لا ! اننى أتوق لمعرفة ما سيأتى ! ..

جميع السيدات : المشهد التالى ، المشهد التالى !

الساحر : تحت أمركم ، أى مشهد ؟

احدى السيدات : المشهد الذى يميل فيه هانز على الفارس الذى جرحه وينظر الى رقبته ويتعرف على برتا .

الساحر : هذا المنظر احتفظنا به لقرون أخرى يا سيدتى .

الحاجب : المنظر الذى تتحدث فيه برتا والفارس لأول مرة عن أوندين ..

الساحر : منظر العام القادم ؟ .. هيا بنا ..

(تنظر كل السيدات فجاة الى وجه الحاجب)

الحاجب : ما هذا الذى أحمله على وجنتى !

الساحر : آه انها مساوىء الطريقة التى تتبعها ! انك تحمل ذقنا نبتت منذ ستة شهور ..

(الجميع يختبئون من جديد)

المنظر السادس

برتا . الفارس

(يدخلان بخطوات متحررة أحدهما من الحديقة والاخرى من القصر)

برتا : كنت أبحث عنك يا هانز !

الفارس : كنت أبحث عنك يا برتا !

برتا : هانز ، يجب ألا نترك لهذه الغيوم مكانا بيننا . لا يمكنني أن أكون صديقتك اذا لم أصبح صديقة لأوندين . اتمنّى عليها الليلة . انني أنسخ الانيادة [1] والأحزان [2] وأقوم برسمهما بنفسي . ستساعدني على وضع الذهب على دموع أوفيد .

الفارس : شكرا يا برتا ولكنني أشك في ذلك ..

برتا : أوندين لا تكتب عن قصد ؟

الفارس : لا ، أوندين لا تعرف الكتابة .

برتا : انها على حق ! يمكنها هكذا أن تهب نفسها كلية لأعمال الآخرين . يمكنها أن تقرأ الروايات دون أن تحسد الكاتب .

الفارس : لا . انها لا تقرأها .

---

(١) هي ملحمة الشاعر الروماني الكبير ڤرجيليوس .
(٢) قصائد معروفة للشاعر الروماني أوڤيدوس .

برتا : انها لا تحب الروايات .

الفارس : انها لا تعرف القراءة .

برتا : كم أحسدها على ذلك ! يا لها من جنية سنراها بين هؤلاء المتفيقهات والمتدينات ! .. كم سيكون مريحا أن نرى الطبيعة ذاتها لا يشوبها القلق وقد وهبت نفسها للموسيقى والراقصين .

الفارس : انك لن ترينها هنا .

برتا : هل تغار عليها الى هذا الحد ؟

الفارس : لا . انها لا تعرف الرقص .

برتا : انك تمزح يا هانز ! هـــل تزوجت من امرأة لا تعرف القراءة ولا الكتابة ولا الرقص ؟

الفارس : نعم . وكذلك لا تنشد ولا تعزف على الناى ولا تركب الخيل . وتبكى فى رحلات الصيد .

برتا : ماذا تفعل ؟

الفارس : تسبح .. قليلا ..

برتا : يا لها من ملاك ! ولكن احترس ! الجهل غـير مرغوب فيه فى البلاط . الأســاتذة يملؤون جوانبه . كيف تبدو أوندين ؟

الفارس : كما هى . كالحب .

برتا : كالحب الصامت أم كالحب الثرثار ؟ سيكون

من حقها أن تجهل كل شيء اذا كانت تعرف الصمت .

الفارس : فى هذه النقطة بالذات ينتابنى القلق يا برتا . أوندين ثرثارة ولما كان أستاذها الأوحد الطبيعة فهى تتخذ لغتها من الضفادع وعلاقاتها من الرياح . وها نحن فى موسم الرحلات والصيد . وأنا أرتعد من مجرد التفكير فى الألفاظ التى ستقتلعها منها هذه المناظر حيث كل موقف وكل تصرف وكل استدارة له اسمه الخاص به . اننى أعلمها ولكن بلا جدوى . عند كل كلمة فنية عند كل كلمة جديدة بالنسبة لها تقبلنى . كانت هناك ثلاثة وثلاثون كلمة فى أول درس للرماية الذى كنت أحاول أن أشرحه لها البارحة .

برتا : أربعة وثلاثون ! ..

الفارس : هذا صحيح : مع فتحة الرقبة وتصبح أربعة وثلاثون ! أين ذهب عقلى ! أحسنت يا برتا !

برتا : لقد أخطأت فى حساب قبلة .. ائتمنّى على أوندين يا هانز . معى لن تخشى هذا الخطر . وأنا أعرف المبارزة على الحصان بالرماح وأعرف الصيد بالكلاب .

الفــارس : الذى يجب أن تعرفيه بالذات يا برتا همـــا خصائص وميزات آل ويتنشتين وهى أسرار .

برتا : لقد كانت تقريبا أسرارى . اسألنى .

الفــارس : اذا أجبت . سأكون مدينا لك برهان ! ما اللون الذى يجب أن يحمله درع فارس ويتنشتين عند دخوله الى الحلبة ؟

برتا : سماوى الأمير ، مقسم الى قائم الزوايا وبه سنجاب مكسور الذيل .

الفــارس : برتا العزيزة ! قوام الويتنشتين عنــدما يقفز فوق الحاجز ؟

برتا : الرمح قائم والحصان مادا رجليه الأماميتين .

الفــارس : ستكونين فى يوم ما زوجة رائعة لفارس يا برتا !

(يخرجان معا)

المنظر السابع

الحاجب . الساحر . الشاعر . السيدات

الحاجب : أبدعت ! وكم هو على حق الفارس ويتشتين . الكونتسة برتا تعمل كل شيء وتعرف كل شيء . انها الزوجة المثالية . انها تفنى نفسها لتحمى الآخرين ! .. الى المنظر الثالث أيها الساحر ، نحن فى غاية القلق ! ..

السيدة : المنظر الذى ترى فيه برتا أوندين ترقص عارية فى ضوء القمر مع الجان .

الساحر : انك ما زلت تخلطين الأمور يا سيدتى .

الحاجب : المشاجرة بين برتا وأوندين ؟

الشاعر : ما قولكم فى سنة استراحة ؟

أحد الغلمان : يا صاحب السعادة موعد الاحتفال يقترب .

الحاجب : وا أسفاه ، هذا صحيح ! لم يعد عندى من الوقت الا ما يسمح لى بالذهاب الى هذه السيدة الشابة لأعطيها ، بما أنها ثرثارة ، بعض

النصائح لتتجنب كل خطأ . ولكن أيها الساحر لن تنتهز فرصة غيابي وتقدم أية مناظر .

الساحر : منظر صغير جدا .

الحاجب : لا علاقة له بهذه الحادثة ؟

الساحر : لا علاقة له اطلاقا مع أي شيء . ولكنه سيسعد صيادا عجوزا أحبه .

(يخرج الحاجب . تدخل من جانب فيولنت ومن الآخر أوجست) .

المنظر الثامن

أوجست – فيولنت

أوجست : (يتوجه نحو الكونتسة) هل أنت الكونتسة فيولنت ؟

فيولنت : نعم أيها الرجل الطيب ..

(تميل عليه فيرى الترترة الذهبية في عينها)

فيولنت : ماذا تريد ؟

أوجست : ما عدت أريد شيئا .. كنت على حق .. انها رائعة .. شكرا .

يختفيان .

المنظر التاسع

أوندين . الحاجب . الشاعر

الحاجب يهبـــط الدرج وقد أعطى يده لأوندين وهو يحـــاول أن يسترجع معها التحية الملكية .

الحــاجب : هذا مستحيل لا يمكن على الاطلاق !

أوندين : سأكون سعيدة جدا ! ..

الحــاجب : أستبدل الاحتفال العادى من الدرجة الثالثة بعيد بحرى ، عمليا هذا شيء مستحيل .. سكرتير الخزانة يمنعه على أية حال : ملء حمام السباحة بالماء يكلفنا كثيرا فى كل مرة .

أوندين : سأحضر لكم المياه مجانا .

الحــاجب : لا تلحى فى هذا ! حتى اذا كان ملكنا سيستقبل أمير السمك فعليه لأسباب اقتصادية أن يستقبله فى الهواء .

أوندين : سأكون فى أحسن حالاتى داخل الماء !

الحــاجب : أما نحن فلا .. أنا لن أكون ..

أوندين : بلى . أنت بالذات يدك رطبة لن يلاحظ هذا فى الماء .

الحاجب : يدى ليست رطبة .

أوندين : بل هى رطبة . المسها .

الحاجب : أيتها الفارسة ، هل عندك القوة لتستمعى قليلا الى النصائح التى ستجنبك منذ بعد ظهر اليوم الأخطاء والفضائح ؟

أوندين : ساعة ! ساعتان اذا أردت !

الحاجب : وأن تستمعى اليها دون أن تقاطعينى ؟

أوندين : أقسم لك . لا شىء أبسط من هذا ..

الحاجب : أيتها الفارسة ، البلاط مكان مقدس ..

أوندين : بعد اذنك ! لحظة !

تذهب الى الشاعر الذى كان يقف جانبا والذى يتقدم أمامها .

أوندين : أنت الشاعر ، أليس كذلك !

الشاعر : يقولون ذلك .

أوندين : لست جميلا جدا ..

الشاعر : يقولون كذلك .. يقولونه همسا .. ولكن بما أن آذان الشاعر لا تكون أكثر حساسية الا لما هو همس فأنا أسمعها جيدا .

أوندين : هل الكتابة تجعل الانسان أكثر جمالا ؟

الشاعر : كنت أكثر قبحا !

تضحك له . ينسحب .

أوندين : (تعود للحاجب) آسفة .

الحاجب : أيتها الفارسة ، البلاط مكان مقدس حيث يجب للانسان أن يسيطر على الخائنين اللذين لا يستطيع أن يتخلص منهما : كلامه ووجهه . اذا شعر بالخوف يجب أن يعبرا عن الشجاعة واذا كذب فعليهما أن يعبرا عن الصراحة . كما أنه ليس من السوء فى شىء اذا حدث وقالا الصدق أن يتخذا مظهر من يقول أشياء غير صحيحة . وهذا يعطى الحقيقة مظهرا مبهما مما لا يحط من قدرها الا بمقدار ازاء النفاق .. فلنأخذ مثلا لذلك ما اخترته أنت بمنتهى البراءة . سأستبعد المثال العادى عن رائحة الشىء المحترق الذى كنت استخدمه عادة .. نعم يدى تعرق .. يدى اليمنى أما اليسرى فهى الجفاف نفسه . انها تحرقنى فى الصيف .. نعم منذ طفولتى أعرف هذا وأتألم منه . مرضعتى عندما كنت المس ثديها كانت تخلط بين شفتى وأصابعى والاسطورة التى تقول أننى ورثت هذا عن سلفى أونولف الذى غمس يده من غير قصد فى الزيت المقدس . لا تواسينى .. ولكن مهما كانت يدى رطبة فذراعى طويل ويصل الى العرش ويحصل على

الرضا والغضب .. اذا لم يرق لى المرء فهـو يجازف بالرضا عنه وكذلك الرضا عن زوجه وخاصة اذا ما هزأوا من عاهات جسدى .. من عاهة جسدى ! .. وعلى أية حال ليس عندى عاهات خلقية .. والآن يا أوندين الجميلة اذا كنت قد تتبعت ما قلته لك ، قولى لى كسيدة بلاط مدربة كيف ترين يدى ؟

أوندين : رطبة .. كأقدامك .

الحـاجب : لم تفهمى شيئا ! أيتها الفارسة ..

أوندين : لحظة ، هل تسمح ؟

الحـاجب : لا أبدا ! مطلقا !

تذهب ثانية نحو الشاعر الذى يأتى هو الآخر نحوها .

أوندين : ما هو أول أبياتك ؟

الشاعر : أروعها .

أوندين : أروع أبياتك ؟

الشاعر : أروع الأبيات عامة . انها فى القمة فوق جميع الأبيات فى مثل ما أنت فوق جميع النساء .

أوندين : انك متواضع جدا فى غرورك .. قله سريعا ..

الشاعر : لم أعد أعرفه . أنشـدته فى منـامى وعندما استيقظت كنت قد نسيته .

أوندين : كان يجب عليك أن تكتبه بسرعة .

الشاعر : هذا ما قلته أنا أيضا . وكتبته بالفعل سريعـا جدا ولكنى كتبته فى المنام .

تضحك له بلطف . يبتعدان .

الحـاجب : أيتها الفارسة ، حسن ، أوافق على كون يدى رطبة . عندما ستلمسين كل أيدى من فى البلاط فربما تغيرين رأيك .. فلنصدق ما تقولين ، ولنصدق أننا صدقناه .. ولكن هل ستذهبين الى حد القول للملك ان يده رطبة ؟

أوندين : بالطبع لا .

الحـاجب : هذا حسن جدا ! لأنه ملك ؟

أوندين : لا ! لأنها جافة .

الحـاجب : انك غير معقولة ! اننى أتكلم فى حالة ما اذا كانت مبللة !

أوندين : لا يمكنك أن تتكلم عن هذا . لأنها ليست كذلك .

الحـاجب : ولكن اذا سألك الملك عن السنطه التى على أنفه . الملك عنده سنطه على أنفه على ما أعتقد !

لا تجعلينى أصرخ هكـذا أرجـوك ! واذا ما سألك عما تشبه هذه السنطه ؟

أوندين : ملك يسألك فى أول لقاء عما تشبهه سنطته ، ان هذا يكون أمرا غريبا للغاية .

الحـاجب : ولكن أيتها الفارسة ، اننا نتكلم من النـاحية النظرية ! أحاول فقط أن أفهمك أنه فى حالة ما اذا كانت عندك سنطه عما يحسن أن يقولونه لك ليرضوك !

أوندين : لن تكون عندى أية سنطة . ستنتظر طويلا ..

الحـاجب : انها مجنونة ..

أوندين : هذا يأتى من لمس الزحالف ، هل تعرف ؟ ..

الحـاجب : لا أهمية لهذا !

أوندين : هذا أقل خطورة من خراج حلب الذى يأتى من الاحتكاك بسمك القط ..

الحـاجب : اذا أردت ذلك !

أوندين : أو من تلك التى تحدث من قتل سمك الثعبان بخنقه . فهذا النوع حيوان نبيل يجب أن يسيل دمـه .

الحـاجب : انها غير محتملة !

الشاعر : سيدتى ، يريد الحاجب فقط أن يقول لك انه لا يجب أن نسبب آلاما لمن هو قبيح بكلامنا عن قبحه .

أوندين : ما عليهم الا أن لا يكونوا كذلك . هل أنا قبيحة ؟

الحاجب : افهمى أن الأدب نوع من الاستثمار وهو أحسنها ! عندما تصبحين فى سن الشيخوخة سيقولون لك بفضل هذا الأدب انك شابة وعندما تصبحين دميمة سيقولون لك انك جميلة هذا كله مقابل ثمن بسيط .

أوندين : لن أكبر أبدا ..

الحاجب : يا لها من طفلة !

أوندين : هل تريد أن تراهن ؟ أوه عن اذنك !

تجرى نحو الشاعر .

الحاجب : أيتها الفارسة ! ..

أوندين : انه أجمل ما فى الحياة ، أليس كذلك ؟

الشاعر : عندما تسقط من على الصخور وتتقاذف النباتات والزهور بدون أدنى شك !

أوندين : الشلالات ، أجمل ما فى الوجود ! أعتقد انك قد جننت !

الشاعر : فهمت . انك تتحدثين عن البحر ؟

أوندين : عن البحر ؟ هذا السائل المالح ؟ هذا الراقص المتمايل ؟ ولكنك تهيننى !

الحاجب : أيتها الفارسة !

أوندين : ها هو الآخر ينادينا . وا أسفاه ! كنا متفاهمين للغاية .

(تعود الى الحاجب)

الحاجب : ماذا يقولون ! أيتها الفارسة سنعود الى هذا الدرس فى يوم آخر . عندى من الوقت ما يكفى فقط لتلقينك الجواب على السؤال الذى يلقيه الملك على كل مبتدئة عن البطل الذى يحمل اسمه ، عن هرقل ، لقد أطلقوا عليه هذا اللقب لأنه وهو فى مهده سحق تحت عجزه ثعبانا تسلل الى هذا المهد . وأنت سادس مبتدئة هذا العام ، سيسألك عن سادس أعماله . استمعى جيدا سأجعلك تعيدين ما أقوله وباسم القديس روش أرجو ألا تتغيبى بعد الآن عن الحديث لتذهبى وتكلمى الشاعر .

أوندين : أوه تماما ! كدت أن أنسى ! شكرا لتذكيرك اياى ! .. انه أمر مستعجل جدا !

الحاجب : انني أمنعك !

تجرى الى حيث يوجد الشاعر .

أوندين : انك تعجبني .

الشاعر : انك تخجلينني . ولكن الحاجب ينتظر . ما هو الشيء المستعجل الذى تريدين قوله .

أوندين : هـذا ..

الحاجب : أعتقد أنهم جنّوا ! أيتها الفارسة !

أوندين : كنت أتحدث منذ لحظة عن العيون التي تنبع تحت الماء عنـدما يحل الربيع ويزدهر قاع البحيرة .. اللعبة فى أن تجدهم حيث ينفجروا . فجأة تجد مياها تتخبط وسط الماء نحاول أن نضغط عليها بأيدينا . فنبتل بمياه لم يلمسها الا الماء . توجد واحدة بالقرب من هنا فى المستنقع . اذهب فوقه وانظر الى خيالك سترى نفسك كما أنت ، أجمل الرجال ..

الشاعر : دروس الحاجب تؤتى ثمارها .

الحاجب : انني أحملك المسئولية يا والتر ، عندما قتل هرقل السمكة أيتها الفارسة ..

أوندين : هرقل قتل سمكة ؟

الحاجب : نعم أكبر واحدة ، ثعبان الماء ذو السبعة رؤوس .

أوندين : اذن سأصم أذني . لا أريد أن أعرف شيئا عن السفاحين .

الحاجب : يا للجحيم !

تسمع ضوضاء كبيرة فى الخارج ويظهر الساحر .

الحاجب : وما هو هذا المنظر الآن ؟

الساحر : المنظر القادم ؟ لست مسئولا ..

السيدة : القبلة الأولى لهانز وبرتا ؟

الساحر : لا شيء أسوأ من هذا : أول سوء تفاهم بين هانز أوندين . جاءت فى موعدها .

يظهر هانز

الغلام : زوجك يا سيدتى .

أوندين : تعالى يا عزيزى هانز . الأستاذ الكبير يعلمنى الكذب .

الفارس : اتركينى . أريد أن أحدثه .

أوندين : المس يده . سترى كم هى جافة ! .. اننى أحسن الكذب . أليس كذلك أيها الحاجب ؟ ..

الفارس : بعض السكون يا أوندين .

أوندين : أنت قبيح جدا وأنا أكرهك ! اننى لا أكذب هذه المرة !

الفارس : هلا سكت ! ماذا يعنى مكانى عـلى المائدة يا صاحب السعادة ؟ هل تجلسنى بعد سالم ؟

الحاجب : فى الواقع أيها الفارس .

الفارس : لى الحق فى المكان الثالث بعد الملك وفى الشوكة الفضية .

الحاجب : كان لك الحق فى ذلك . وحتى فى المكان الأول وفى الشـوكة الذهبية اذا كانت تحققت بعض المشاريع ولكن زواجك يعطيك المكان الرابع عشر والملعقة ..

أوندين : ما أهمية هذا يا عزيزى هانز ! لقد رأيت أطباق الطعام ، توجد أربعة عجول كاملة . اننى متأكدة أنه سيكفى الجميع .

(ضحك)

الفارس : ماذا يضحكك يا برترام ؟ ..

برترام : أضحك عندما يكون قلبى سعيدا أيها الفارس ..

أوندين : لن تمنع الناس من الضحك يا هانز ؟

الفارس : انه يضحك منك .

أوندين : انه لا يضحك منى بخبث . انه يضحـك لأنه يجدنى ظريفة . اننى ظريفة دون أن أقصد أن أكون كذلك . ولكننى ظريفة . انه يضحك لأنه يستلطفنى .

برترام : هذا صحيح يا سيدتى .

الفـارس : زوجتى لا يجب أن تكون مصدرا للضحك حتى لو كان هذا لأنهم يستلطفونها !

أوندين : اذن لن يضـحك بعد الآن ، لأنه لا يرغب فى مضايقتى أليس كذلك أيها الفارس ؟

برترام : سأبتعد يا سيدتى عن كل ما لا ترغبين فيه .

أوندين : لا تحقد على زوجى .. ان هذا يرضى غرورى عندما يسهر على كل ما يخصنى .. ألا ترى ذلك أيها الفارس ؟

برترام : اننى أحسده على كونه الوحيـد الذى فى استطاعته عمل هذا .

الفـارس : من يسألك عن رأيك يا برترام ؟

أوندين : أنا يا عزيزى أنا .. ربما كنت تحتاج الى دروس من الحاجب يا هانز . لا تكن عصبيا . اقتد بى .

لن يستطيع الرعد ولا الطوفان أن يمحوا هذه الابتسامة من على شفتي .

يقترب الساحر منها فتتعرف فيه على خالها .

أوندين : (بصوت منخفض) ها أنت ؟ لماذا أنت متخفى ؟ أى عمل سيىء تدبره ؟

الساحر : سترينه . هذا من أجل صالحك . أرجو المعذرة اذا كنت تجدينني متطفلا .

أوندين : بشرط واحد أغفر لك .

الساحر : انني أستمع اليك .

أوندين : آه يا خالى العزيز ! انني أحتاج الى هدوئى ! اسمح لى لهذه الحفلة فقط ألا أرى ما يفكر فيه الآخرون . فالمرء يخسر دائما .

الساحر : فيما أفكر ؟

أوندين : (تقرأ أفكاره ، يبدو عليها الرعب) أغرب عنى ! ..

الساحر : لن تمر دقيقة حتى تنادينني يا أوندين ..

(يعلنون قدوم الملك) .

المنظر العاشر

الملك . الملكة . الحاشية . برتا .
نفس الأشخاص فى المنظر السابق

الملك : سلام أيها الفارس ! سلام يا صغيرتى أوندين !

(أوندين تلمح برتا وتبدو وكأنها لا ترى أحداً سواها)

الحاجب : أدى التحية ، يا سيدتى !

(تؤدى التحية بطريقة آليه دون أن ترفع عينيها عن برتا)

الملك : اننى أستقبلك ككل اللائى واللاتى أريد أن أحبهم يا طفلتى الجميلة فى قاعة هرقل المقدسة . اننى أعبد هرقل ولقبه من أعز أسمائى . لست من الذين يشتقون اسمه من هرسوليه الذى يجمع الضفادع .. لا توجد ضفادع فى تاريخ هرقل . الضفدعة هى الحيوان الوحيد الذى لا يمكن أن تتصوره فى أعمال هرقل . الأسد ، النمر ، الثعابين المائية كل هذا ممكن أما الضفدعة فلا . أليس كذلك أيها السيد الكوان .

السيد الكوان : فى هذه الحالة كان لابد من ارادة صـــلبة لا رخوة منهارة .

الملك : ولكننى أؤثر يا أوندين .. أعماله .. تعرفين على ما أظن عدد الأعمال التى قام بها هرقل ؟

الحــاجب : (يهمس) تسعة ..

أوندين : (دون أن ترفع عينها عن برتا) تسعة يا صاحب السمو ..

الملك : حسن جــدا . الحاجب يهمس بصوت مرتفع قليلا ، ولكن صوتك يبدو ســـاحرا حتى بالنسبة لكلمة فى مثل هذا الاختصار . سيكون أصعب عليه أن يهمس لك بوصف كامـــل لسادس أعماله . ولكنها هنا فوقك يا صغيرتى أوندين فى هذه اللوحة . انظرى ! .. من هذه السيدة التى تريد أن تغرى هرقل وقد اكتسى وجهها بالسحر وامتلأ قلبها بالخيانة ..

أوندين : (وهى ما زالت تنظر الى برتا) انها برتا ..

الملك : ماذا تقول ؟

أوندين : (تتجه نحو برتا) .

أوندين : أنت ، انك لن تحصلى عليه أبدا !

برتا : ما الذى أحصل عليه أبدا !

أوندين : أبدا ، لن يكون لك أبدا !

الملك : ما بالها هذه الطفلة ؟

الفارس : أوندين الملك يتحدث اليك ..

أوندين : اذا كلمته كلمة ، اذا لمسته أقتلك ..

الفارس : هلا سكت يا أوندين !

برتا : مجنونة !

أوندين : أيها الملك ، انقذنا !

الملك : أنقذك مم يا فتاتى الصغيرة ؟ أى خطر يهددك فى هذا الحفل المقام من أجلك !

الفارس : اغفر لها .. اغفر لها ..

أوندين : اسكت أنت ، انك معهن ، معهن جميعا ! لقد أصبحت فى صفهم دون أن تدرى ..

الملك : افصحى يا أوندين !

أوندين : أيها الملك ، أليس ذلك فظيعا ! أن يكون لك زوج أعطيت من أجله كل ما تملك فى هـذه الدنيا .. وهو قوى .. شجاع .. وجميل ..

الفارس : أتوسل اليك يا أوندين ..

أوندين : اسكت . أنا أعرف ما أقول .. أنت غبى ولكنك جميل . وجميعهن يعرفن ذلك . وكلهن يقلن لأنفسهن : يا له من حظ أن يكون فى مثل هذا الجمال وهذا الغباء ! لأنه جميل سيكون محبوباً وسيسهل اغراؤه لانه غبى

برترام : امرأة رائعة !

أوندين : ألست على حق أيها الفارس !

الفارس : فيم تفكرين يا أوندين ؟

أوندين : ما اسمك أنت يا من تجدنى رائعة !

برترام : برترام يا سيدتى .

الفارس : اسكت !

برترام : عندما تسألنى سيدة عن اسمى أذكره لها أيها الفارس .

الملك : أرجوكم .

الحاجب : الفيكونت والفيكونتيس يقتربان لتقبيل الأيادى !

برتا : أبى ، فلاحة تأتى وتهين ابنتك التى تبنيتها فى قصرك ألا تعتقد أن هذا كثيرا .

الفارس : يا صاحب السمو . أرجو أن تأذن لى أن أنسحب الى غير عودة ، عندى زوجة رائعة ولكنها لا تصلح لكل الناس ..

أوندين : أرأيت كم هما متفاهمان !انهما الرياء نفسه !

الملك : برتا ليست مرائية يا أوندين .

أوندين : بل انها لكذلك . هل كانت لديها الجرأة أبدا لتحدثك عن ..

الحاجب : أيتها الفارسة !

الملك : عن نسبى مع هرقل عن طريق سلفى أمفال ؟ .. ان هذا لا يخجلنى يا صغيرتى أوندين .

أوندين : لا ، عن سنطتك بكل بساطة . عن سنطتك التى هى أجمل سنطه يمكن للملك أن يحملها والتى لا يمكن أن تعطيها الا سلحفاه فيما وراء البحار .
(تشعر بخطئها وتحاول أن تصلح الأمور)
أين أمكنك لمسها ؟ عند أعمدة هرقل ؟

الحاجب : المارجراف يقتربون لاحتفال ربطة الساق ..

الملك : يا صغيرتى أوندين ، هدئى من روعك . نعم انك تعجبيننى ، أن تدوى هذه الأسقف بصوت الحب نفسه هذا أمر نادر يروق لى . ولكن من أجل سعادتك اتبعى نصائحى ..

أوندين : أوه أنت سأصدقك بدون مناقشة .

الملك : برتا فتاة لطيفة ، مخلصة ولا تطلب الا أن تحبك .

أوندين : آه لا ! هذا هو الخطأ بعينه !

الفارس : أرجوك أن تسكتى .

أوندين : أتسمى لطيفة فتاة تقتل العصافير ؟

الملك : ما قصة هذه العصافير ؟ لماذا تقتل برتا العصافير ؟

أوندين : لتبلبل أفكار هانز !

الملك : أستطيع أن أقسم لك أن برتا ..

برتا : أبى ، كنت قد أمسكت بعصفورى عندما سلم على هانز وأمسك بيدى ولكنه ضغط عليها بشدة .

أوندين : لم يضغط عليها بشدة أكثر من اللازم . ان قبضة أضعف امرأة تصبح كقشرة من رخام لتحمى طائرا حيا . لو كانت يدى هى التى تحوى هذا العصفور لكان فى استطاعة هرقلك يا صاحب السمو أن يضغط بكل قواه . ولكن برتا تعرف الرجال .
كان العصفور فى أمان فى يدها ولكنها سحقته .

الفارس : أنا الذى ضغطت بشدة أكثر من اللازم .

أوندين : هى التى قتلته !

الحاجب : يا صاحب السمو البارونات الأحرار وزوجاتهم ..

الملك : أوندين ايا كان هو أو هى ستقسمين لى أنك ستتركين منذ الآن برتا فى أمان ..

أوندين : اذا كنت تأمر بهذا ، فأنا أقسم لك .

الملك : أنا آمر به .

أوندين : اذن أقسم لك .. بشرط أن تسكت !

الملك : ولكن أنت التى تتكلمين ! ..

أوندين : انها تحدث نفسها . وأنا أسمع كل شىء .. اسكتى يا برتا !

الفارس : اطلبى الصفح من برتا يا أوندين !

أوندين : شعرى ؟ ماذا يمكنها أن تقول عن شعرى ! افضل شعرى المنساب على ضفائرها التى تشبه الأفاعى . انظر اليها يا صاحب السمو ان بها حيات بدلا من الشعور !

الفارس : اعتذرى ! ..

أوندين : ولكن ألا تسمعها ! ألا تسمعونها ! تقول اننى بهذه الفضيحة أضيع نفسى بنفسى وأن أسبوعا من هذه التصرفات البلهاء سينزع منى زوجى ولن يبقى لى الا أن أنتظر حتى أموت من الحزن .. هذا ما تقوله برتا اللطيفة ، هذا هو ما تصرخ به أوه يا عزيزى هانز خذنى بين ذراعيك أمامها حتى تذلها ..

الفارس : لا تلمسينى .

أوندين : قبلنى أمامها ! لقد أعدت الحياة للعصفور . انه حى الآن فى قفصه .

برتا : يا لها من مجنونة !

أوندين : أنت قتلته ! وأنا أحييته ! .. من المجنونة منا نحن الاثنين ، من المذنبة ؟

الملكة : أيتها الطفلة المسكينة !

أوندين : الا تسمعونه ؟ .. انه يغنى .

الملك : هل استعراضك الترفيهى على استعداد يا صاحب السعادة .

انا فى أشد الحاجة اليه .

أوندين : هل أنت حاقد على يا هانز العزيز ؟

الفارس : لست حاقدا عليك ولكنك كسيتنى بالعار . لقد جعلت منا اضحوكة البلاط .

أوندين : فلنغادر هذا المكان . الملك هو الشخص الوحيد الطيب هنا والملكة هى الجميلة الوحيدة .. فلنرحل ..

الحاجب : (وقد أعطاه الساحر اشارة) .

ذراعك للكونتيسة برتا أيها الفارس .

أوندين : ذراعه لبرتا . لن يحدث هذا أبدا ..

الحاجب : انه البروتوكول يا سيدتى .

الفارس : اعطنى يدك يا برتا ..

أوندين : يدها ، أبدا ! على العموم ستعرف يا هانز . اسمع من تكون برتا .. أنتم جميعا ، انتظروا ، اسمعوا ، اسمعوا من تكون الكونتسه برتا وما يستوجبه نحوها البروتوكول !

الفارس : أوندين هذا كثير ..

الملكة : دعونى أريد أن أتحدث الى هذه الطفلة ..

أوندين : أوه نعم ، عندى سر أريد أن أقوله الى الملكة !

الملك : فكرة صائبة يا ايزولت .

أوندين : ايزولت ! أيها الملك هل زوجتك هى الملكة ايزولت ؟

الملك : ألم تكونى تعلمين ؟

أوندين : وتريستان ؟ أين هو تريستان ؟

الملك : لا أرى العلاقة يا أوندين . ، هدئيها يا عزيزتى ، ايزولت . (الجميع يخرجون ما عدا الملكة وأوندين) .

المنظر الحادى عشر

ايزولت . أوندين

ايزولت : تدعين أوندين أليس كذلك ؟

أوندين : نعم وأنا احدى جنيات البحر .

ايزولت : كم تبلغين من العمر ؟ خمسة عشر عاما ؟

أوندين : خمسة عشر عاما . وأنا مولودة منذ قرون . ولن أموت أبدا ..

ايزولت : لماذا ضللت طريقك وجئت بيننا ؟ كيف استطاع عالمنا أن يعجبك ؟

أوندين : عبر شاطىء البحيرة المائل كان يبدو رائعا .

ايزولت : هل ما زال كذلك . منذ الوقت الذى تعيشين فيه جافة ؟

أوندين : هناك آلاف الوسائل لايجاد المياه أمام أعيننا .

ايزولت : آه فهمت ! حتى تبدو لك الحياة رائعة من جديد تفكرين فى موت هانز ؟ وحتى تبدو لك سيداتنا رائعات تظنين أنهن سيأخذن منك هانز ؟

أوندين : يردن أخذه منى أليس كذلك .

ايزولت : الأمر يبدو كذلك . ولكنك تعطينـه أهميـة كبرى .

أوندين : هذا هو سرى أيتها الملكة . ان سرى يكمن هنا . اذا أفلحن فى أخذه منى سوف يموت ! ان هذا فظيع !

الملكة : اطمئنى لسن بهذه القسوة .

أوندين : بلى ! بلى ! سوف يموت لأننى وافقت على أن يموت اذا خاننى .

ايزولت : ماذا تقولين ؟ هل هذه العقوبة عند جان البحر ؟

أوندين : أوه لا ! عند جان البحر لا توجد زوجات غير مخلصات الا عن طريق الخطأ أو التشابه الكبير أو لأن البحر كان هائجا . ولكن الجنيات تتفقن فيما بينهن على أن يظل الخائن غير المتعمد على جهله بالأمر .

ايزولت : وكيف يمكنهم أن يعرفوا أن هانز يستطيع أن يخونك ؟ كيف يمكنهم فهم كلمة الخيانة ؟

أوندين : لقد تعلموها فجأة . عندما رأوه . لم يتكلموا قط عن الخيانة . لم يتكلموا عنها أبدا قبل مجىء

هانز ولكنهم رأوا رجلا جميلا على حصان ، الاخلاص على وجهه والصدق فى فمه وعندئذ كلمة خيانة جرت حتى أعماق المياه ..

ايزولت : يا لهم من مساكين جان البحر !

أوندين : وعندئذ اخذ كل ما كان فى هانز يعطينى الثقة ، نظرته المستقيمة وكلامه الواضح كل هذا كان يبدو لهم كما لو كان نذيرا للمتاعب ، كما لو كان نفاقا . يجب أن نعتقد أن الفضيلة فى الرجال ما هى الا كذبة فظيعة . لقد قال لى أنه سيحبنى دائما ..

ايزولت : وكلمة يخون ولدت فى الأمواه .

أوندين : الأسماك أنفسها كانت تتهجاها . وفى كل مرة أخرج فيها من الكوخ لأقص عليهم غرام هانز وأهزأ بهم كان الجميع يصرخون فى وجهى بهذه الكلمة عن طريق الفقاعات أو عن طريق بعض الأصوات — وكنت أقول لهم أنه غاضب من أجل سمكته التى ألقيت بها . انه جائع ، وكانت اسماك البلطى تقول نعم انه يخونك لقد أخفيت لحم الخنزير وقالت الأسماك

الضغيره نعم انه يخونك — ها نحس لسمك
الصغير .

ايزولت : ليست عندى أية فكرة .

اوندين : ذبابات صغيرة قدرة نعاس صغيرة قذرة
ولكنه لم يلمسهن ولم يقبلهن . كنت فخورة به . وقد
تحديتهن . وقلت لهن انه لن يخوننى أبدا .
ولكنهن هزأن بى وعندئذ أخطـأت وقبلت
الشروط .

ايزولت : أية شروط ؟

اوندين : خالى قال لى — هل تسمحين لى بقتله
اذا خانك ؟ لو أننى قلت لا لكان معنى ذلك
اذلال هانز أمامهم . كان معناه تحقير هانز
أمامهم . كان معناه أننى أحتقر نفسى ! فقلت
نعم .

ايزولت : سوف ينسون . سوف يغيرون رأيهم .

أوندين : أوه ! لا تعتقدى هذا . فالوسط الذى يمكن فيه النسيان والذى يغيرون فيه الأراء والذى يتسم بالأنسانية — فى هذا العالم — كما تقولون صغير جدا . أما عندنا فالأمر كما هو عند المتوحشين وكما هو عند أوراق الدردار وكما هو عند الديدان لا يوجد عدول عن الأمر ولا تسامح .

ايزولت : ولكن أى سلطان لهم عليه ؟

أوندين : كل ما هو موج أى ماء يراقب هائز الآن . اذا اقترب من بئر يرتفع فجأة مستوى الماء فيه . اذا أمطرت السماء تتضاعف غزارة المطر عند السقوط عليه . انه ثائر . سترين ، عندما يمر بالقرب من نافورات الحديقة ترتفع المياه غاضبة نحو السماء .

ايزولت : هل تريدين نصيحتى يا صغيرتى العزيزة أوندين ؟

أوندين : نعم أنا أوندين الجنية .

ايزولت : يمكنك الاستماع الى . انك فى الخامسة عشر من عمرك .

أوندين : سيكون عمرى خمسة عشر عاما بعد شهر . وقد ولدت منذ قرون ولن أموت أبدا .

ايزولت : لماذا اخترت هانز ؟

أوندين : لم أكن أعرف أنهم يختاروا عند بنى البشر . عندنا لا يختارون وانما تختارنا عواطف كبيرة . وأول من يأتى من جان البحر يظل هو الوحيد الى الأبد . هانز هو أول رجل رأيته . لا أستطيع أن أختار أكثر من ذلك .

ايزولت : أوندين اختفى ! اذهبى الى حالك !

أوندين : مع هانز ؟

ايزولت : اذا أردت ألا تتألمى ، اذا أردت أن تنقذى هانز ، القى بنفسك فى أول نبع للماء يقابلك .. اذهبى !

أوندين : مع هانز ؟ انه قبيح جدا فى الماء !

ايزولت : لقد أمضيت مع هانز ثلاثة أشهر من السعادة . يجب أن تقنعى بذلك . ارحلى قبل فوات الأوان .

أوندين : أترك هانز ؟ لماذا ؟

ايزولت : لأنه لم يخلق لك . لأن روحه صغيرة .

أوندين : أنا ليس لى روح . هذا أسوأ!
ايزولت : الموضوع لا يخصك ولا يخص أى مخلوق غير آدمى .

الانسان فتت بغباء الروح العامة
لا توجد روح عند بنى الانسان وانما مجموعة
من أجزاء صغيرة من الروح حيث تنمو أزهار
ضئيلة وخضروات ضئيلة . أرواح الاسـان
بالفصـول الكاملة ، بالرياح لكاملة بالحب
الكامل هذا ما كان يلائمك وهذا نادر جد

أوندين : كان لدينا واحدا من تلك الأرواح ! كان
لا يعوم الا على ظهره ليرى السماء ! وكان
يأخذ بين زعانفه جماجم لجنيات البحر ويتأملها .
وكان يلزمه احد عشر يوما من الخلوة والعناق

قبل ممارسة الحب . لقد مللناه جميعا حتى المسنات منا كن يتحاشينه لا ، الرجل الوحيد الذى يستحق الحب هو الذى يشبه جميع الرجال والذى له لغة وملامح جميع الرجال . الذى لا نميزه عن الآخرين الا بأخطائه وسرعة تصرفه ..

ايزولت : انه هانز .

اوندين : انه هانز .

ايزولت : ولكن ألا ترين أن كل ما هو كبير عندك لم يحببه هانز الا لأنه يراه صغيرا . أنت النور وقد أحب شقراء . أنت الرشاقة وقد أحب شقية أنت المغامرة عامة وقد أحب مغامرة واحدة .. بمجرد أن يشك فى خطئه ستفقدينه ..

اوندين : لن يراه . لو كان برترام ، برترام كان يراه . ولكانت نفسى حدثتنى بالخطر . من بين جميع الفرسان اخترت أكثرهم غباء ..لن يعرف

ايزولت : أغبى الرجال يرى دائما بوضوح كاف ليصبح أعمى .

اوندين : اذا كان الرجال لا يعرفون كيف يتحملون الحقيقة سأكذب !

ايزولت : سواء أكنت تبحثين عن الحقيقة أو الكذب يا صغيرتى العزيزة لن تخدعى أحدا وستقدمين للرجال أبغض الأشياء اليهم .

اوندين : ألاخلاص ؟

ايزولت : لا . بل الشفافية . انهم يخافونها . تبدو لهم وكأنها أبشع سر . بمجرد أن يلاحظ هانز أنك لست بقايا الذكريات وأنك لست أكواما من المشروعات وأكداسا من المشاعر والارادة سيشعر بالخوف وسيكون فى هذا ضياعك . صدقينى اذهبى ، انقذيه !

اوندين : أيتها الملكة ، ذلك أننى لن أنقذه بذهابى . اذا عدت الى عالم الجان . سيتسابقون من حولى وقد جذبتهم الرائحة الآدمية وسيطالبنى خالى

بالزواج من أحد الجان . سأرفض وفى فورة
غضبه سيقتل هانز .. يجب أن أنقذ هانز وهــو
على الأرض . لا ! يجب أن أجد على الأرض
الوسيلة التى بها أخفى عن خالى أنه يخوننى ،
اذا جاء اليوم الذى يكف فيه عن حبى . ولكنه
ما زال يحبنى أليس كذلك ؟

ايزولت : بدون أدنى شك . بكل قواه !

أوندين : اذن فيم البحث أيتها الملكة ! ان العلاج بأيدينا !
لقد جاءتنى الفكرة منذ لحظة أثناء المشاجرة .
فى كل مرة حاولت فيها أن أبعد هانز عن برتا
لم أستطع الا أن أدفعه نحوها . بمجرد أن أسىء
القول فى برتا يأخذ صفها .. سأتصرف بالعكس !
سأقول له عشرين مرة فى اليوم انها جميلة ،
وانها على حق . عندئذ ستفقد أهميتها عنده
وستكون هى المخطئة . سأعمل على أن يقابلها
كل يوم ، لتكون أكثر الأشياء اشراقا فى الشمس
وفى زى البلاط . عندئذ لن يرى الاى . عندى
بالفعل مشروع وهو أن تأتى برتا لتسكن معنا
فى قصر هانز .. وهكذا يقضون كل حياتهم معا ؟
وسيكون هذا كما لو كانت بعيدة . سأتعلل
بمختلف الأعذار لأتركهما بمفردهما ، فى النزهة
وفى أثناء الصيد سيكون هذا كما لو كانوا بين

مجموعة من الناس . سيقرآن معا مخطوطاتهما - جنبا لجنب ، سيتأملها وهى ترسم حروفهـــا وجها لوجه ، وسيتقاربان ويتلامسان وعندئذ سيشعران أنهما مفترقان ولن تكون عندهما أية رغبة . وعندئذ سأكون كل شىء بالنسبة لهانز .. كم أفهم الرجال : أليس كذلك ! .. هذا هو علاجى ..

(ايزولت تقوم وتأتى لتقبلها)

أوه أيتها الملكة ايزولت ماذا تفعلين !

ايزولت : ايزولت تقول لك شكرا .

أوندين : شكرا ؟

ايزولت : شكرا على درس الحب .. فلتحكم السماء . ويأخذ مجراه العلاج الذى وجدته أوندين ..

اوندين : نعم أنا أوندين جنية البحر .

ايزولت : وسحر الخمسة عشر عاما ..

اوندين : خمسة عشر عاما بعد شهر وقد ولدت منذ قرون ولن أموت أبدا ..

الملكة : ها هم ..

اوندين : يا للسعادة ! سأستطيع أن أطلب الصفح من برتا !

المنظر الثانى عشر

نفس الأشخاص . الملك . جميع الحاضرين

أوندين : آسفة يا برتا !

الملك : أحسنت يا صغيرتى ..

أوندين : كنت على حق ولكن بما أنه لا يطلب الصفح الا المخطىء اذن فأنا مخطئة . برتا . انى آسفة .

الفارس : أحسنت يا عزيزتى أوندين ..

(فى هذه اللحظة يظهر الساحر وتراه أوندين)

أوندين : أحسنت .. ولكنها تستطيع أن تجيبنى ! ..

الفارس : كيف ؟

أوندين : أنا هنا أنحنى أمامها أنا التى أعلى منها بكثير ، ذليلة أمامها أنا التى أشعر بعزة النفس تملؤنى حتى أكاد أظن أننى حامل ، ولا تتنازل حتى لترد على !

برترام : هذا صحيح ، برتا كان يمكنها أن ترد عليها ..

أوندين : أليس كذلك يا برترام !

الفارس : لا تتدخل فيما لا يعنيك ..

اوندين : بل يتدخل . اننى أعنى الكثير له .

الفارس : سنرى هذا حالا يا برترام !

الملك : برتا ، هذه الطفلة تعترف بأخطائها . لا تطيلى فى هذه الحادثة المؤلمة لكل واحد منا .

برتا : حسن . اننى أصفح عنها .

اوندين : شكرا يا برتا .

برتا : بشرط أن تحمل ذيل ثوبى فى الاحتفالات .

اوندين : نعم يا برتا .

برتا : ذيل ثوبى ذو الاثنى عشر قدما .

اوندين : كلما زاد عدد الأقدام التى يفصلنى عنك زادت سعادتى يا برتا .

برتا : وبشرط ألا تنادينى برتا بعد الآن بل يا صاحبة السمو .

الملك : انك مخطئة يا برتا .

برتا : وبشرط أن تقول علنا أمام الجميع أننى لم أقتل العصفور .

اوندين : سأقوله . ستكون كذبة .

برتا : هل ترى يا والدى ، أية صفاقة !

الملك : لن تبدأ من جديد ! ..

أوندين : صاحبة السمو برتا لم تقتل العصفور . هانز لم يمسك بيدها .. ربما أن هانز لم يمسك بيدها اذن فهو لم يضغط عليها .

برتا : انها تهينني !

أوندين : صاحبة السمو برتا لا تمضى أوقاتها فى فقأ عيون عصافيرها حتى تغنى ! وفى الصباح عندما تقفز صاحبة السمو برتا من السرير لا تضع أقدامها فوق سجادة مصنوعة من مائة ألف عصفورة ميتـــة .

برتا : هل تتحمل يا والدى أن ترانى أسب هكذا أمامك !

الملك : لماذا تثيرنها ؟

الفـارس : انك توجهين كلامك الى الابنة التى تبناها الملك يا أوندين ! ..

أوندين : الى ابنة الملك ! هل تريد أن تعرف من هى ابنة الملك ! هل تريدون أن تعرفوا انتم جميعـــا يا من ترتعدون أمامها !

الفـارس : أوه يا أوندين انك تذكرينني بدناءة النسب ويا لها من خطيئة .

أوندين : دناءة النسب يا عزيزى الأعمى ! هل تريد أن تعرف من أية ناحية يأتى النسب الوضيع . هل تعتقد أن برتا ولدت من أبطالكم ! انى أعرف والديها ! انهما صيادان على البحيرة . لا يسميان بارســـيفال ولاكودرون بل يسميان أوجست وأوجينى .

برتا : هانز أسكتها والا لن أراك طول حياتى ! ..

أوندين : أنت هنا يا خالى ! النجدة !

الفارس يريد أن يسحبها بالقوة : اتبعينى !

أوندين : اظهر لهم الحقيقة يا خالى ! أوجد وسيلة لتظهر لهم الحقيقة ! استمع الى هذه المرة فقط . النجدة ! ..

تطفأ الأنوار فجأة بينما يعلن الحاجب :

الحـاجب : يا صاحب الســـمو ، اليكم هــذا المشـــهد التمثيلى ..

المنظر الثالث عشر

يصور قاع المسرح شاطىء البحيرة وكوخ أوجست . ملك جان البحر يتأمل فى مهد من الخوض طفلة صغيرة تحملها اليه جنيات البحر . ممثل وممثلة فى زى سلامبو وماتو يتدافعان من جانبى المسرح ..

الساحر : من هما هذان الشخصان ؟ ليس لهما عمل هنا .

الحاجب : أنهما المغنيان فى مسرحية سلامبو . استحال علينا منعهما .

الساحر : أسكتهما .

الحاجب : اسكات المغنين فى سرحية سلامبو ؟ هذا هو العمل الثامن لهرقل .

منظر العرض

احدى جنيات البحر تنظر الى الطفلة الصغيرة .

ها هى ؟ ماذا يجب أن نفعل بها ؟

ملك جان البحر .

اتركوا لها صليب أمها ..

(ماتو وهو يغنى) .

يا ملك الموج ، لقد عضتنى ! ..

ملك جان البحر

أعيدوا لهـا شخشيختها التى صـنعها لهـا أوجست من قواقع البحر .

سلامبو تغنى

يا لها من شيطانة ! انها تخربشنى !

ملك جان البحر

اتركوا عليها كل علامة تكشف الستار ، عن سر ولادتها عندما أريد .

سلامبو تغنى

هل صحيح أن أحد الأمراء سيعثر على هذه

السلة بين أعواد البوص ويجعل منها مهدا فى قصر اللوفر ؟

ملك جان البحر .

نعم بالنسبة لنا سكان الماء هذه فتاة روحها تافهة أنك تفقدين من الكرامة الانسانية وتتحولين من صيادة الى ملكة ولربما وجدت فى ذلك السعادة ..

جميع الجنيات .

يغرق الشرير فى غروره .

ملك الجان .

ولكن اذا حدث فى يوم رخى أو جاف أن سببت الفشل لجان البحر ..

سلامبو وهى تغنى .

خذنى وخذ قرطاجنه معى !

ملك الجان .

نيكول Nicole ، برتيل Berthilde اسكلارمون Esclamonde أيا كان اسمك فى هذا العالم العلوى .

فسيشهد الصليب والشخشيخة على أصلك الوضيع .

ماتو يغنى .

ها أنت عارية ! آه ما أجمل جبهتك !

احدى الجنيات .

ولكن الصليب سريعا ما يتحطم ..

احدى الجنيات .

والعاج يغرى السارق ..

سلامبو تغنى .

الليل بارد . وهذا يدهشنى .

ماتو وهو يغنى .

ضعى هذا الشال على كتفيك .

ملك الجان

ولذلك يا فتياتى الجنيات .

على أكتافها الصبية .

بسبابتى التى تختم كالقطران .

سأرسم السمكة والصليب .

سلامبو تغنى

أخيرا حصلت عليه !

ماتو وهو يغنى

منْ . أنا ؟

سلامبو تغنى

وأضيف بوضوح الحروف الأولى من أسماء الوالدين حتى لا تنكرى بأية حال لبن أمك أوچينى ! ..

قومى يا برتا اذا كانت عندك الجرأة واكشفى عن عنقك الوردى !

(يضىء النور . ذهول فى القاعه . تقوم برتا)

اوندين : هيا اجرؤى على ذلك يا برتا !

برتا : بل أجرؤى عليه أنت .

اوندين : هو ذا !

تمزق غطاء برتا . على كتف برتا تظهر الاشارات .

سلامبو وماتو .

اوندين : هل هم حاضرون هنا يا خالى ؟

الساحر : انهم آتون .

يـــدخل أوجست وأوچينى الى القـــاعة ويندفعان نحو برتا .

اوجست : ابنتى ! ابنتى العزيزة !

برتا : لا تلمسنى يا هذا ! تفوح منك رائحة السمك ! جميع الجنيات فى عتاب : أوه ! أوه !

أوجينى : طفلتى ! .. كم طلبت من الله !

برتا : يا الهى اننى أطلب منك على الأقل أن تجعلنى يتيمة !

الملك : عار عليك أيتها الفتاة ! اذن فحبك لى كان من أجل عرش . ما أنت الا محدثة وناكرة للجميل . اطلبى الصفح من والديك ومن أوندين .

برتا : مستحيل !

الملك : افعلى ما تشائين ولكن اذا لم تطيعينى سأبعدك عن المدينة وستنهين حياتك فى الدير .

برتا : لقد انتهت حياتى ..

الجميع يخرجون ما عــــدا أوندين ، برتا والفارس .

المنظر الرابع عشر

برتا ، أوندين ، الفارس

أوجست وأوجينى يقفان فى أقصى القاعة . تيجان من الذهب تبدو وكأنها موضــوعة على رؤوسهم عندما تتحدث أوندين عن عظمتهم وتصفهم كما لو كانوا ملوكا .

أوندين : عفو يا برتا !

برتا : اتركينى ..

أوندين : لا تجيبينى الآن ، لم أعد فى حاجة الى جواب .

برتا : الشفقة أقسى على من الجبن .

الفـارس : لن نتركك يا برتا !

أوندين : سأركع أمامك يا برتا ! لقد ولدت من صياد !

الفـارس : ماذا ستفعلين الآن يا برتا ؟

برتا : فعلت دائما ما أملته على ظروفى ..

أوندين : كم أحسدك ! ستفعلين ما تفعله بنات الصيادين !

الفـارس : لا تلحى فى هذا يا أوندين .

أوندين : سألح يا هانز . يجب أن تفهم برتا من هى . كما يجب أن تفهم أنت كذلك . أوجست ملك

عظيم فى مملكة عظيمة . عندما يقطب أوجست حاجبيه ترتعد ملايين الأسماك .

الفارس : أين تذهبين يا برتا ؟

برتا : أين أستطيع الذهاب ؟ الجميع يولون عنى .

أوندين : تعالى معنا . هل تستضيف شقيقتى يا هانز ؟ لأن برتا هى أختى الاكبر . ارفعى رأسك يا برتا . لقد ورثت وقارك من أوجينى . أوجينى ملكة عندنا . تقول الأسماك نبيلة مثل أوجينى .

الفارس : لا نريد بعد الآن أن نعيش فى البلاط يا برتا . أوندين على حق تعالى منذ الليلة معنا .

أوندين : اصفحى عنى يا برتا . اغفرى لى ساعات غضبى . اننى أنسى دائما أنه بالنسبة للبشر ما حدث لهم لا يمكن أن يصبح كما لو لم يكن حدث . ما أصعب الحياة عندكم بهذه الكلمات التى لم ينطق بها الا مرة واحدة والتى مع ذلك لا يمكن تداركها . هذه الأفعال التى حدثت وأصبحت خالدة . كم تكون الفائدة عظيمة لو أن كلمات الكراهية من الغير تنقش عندنا كما لو كانت كلمات حب ! .. هذا ما يحدث لى فى كل ما يخصكم ..

الحاجب وقد مد رأسه الى الداخل : يريد الملك أن يعرف ما اذا كان الاعتذار قد طلب أم لا .

أوندين : نعم ، وهى راكعة .

الفارس : تعالى يا برتا . ان قصرى واسع . ستعيشين فيه كما يروق لك ، بمفردك اذا أردت أن تعيشى وحيدة فى الجناح الذى يطل على البحيرة .

أوندين : آه ! هل توجد بحيرة بالقرب من قصرك ؟ اذن برتا تأخذ الجناح الآخر .

الفارس : الجناح الذى يطل على نهر الرين ؟ كما تريد .

أوندين : نهر الرين ؟ الرين أيضا يمر بمحازاة قصرك .

الفارس : من ناحية الشرق فقط . فى الجنوب توجد الشلالات . تعالى يا برتا .

أوندين : أوه يا هانز ، ألا تملك قصرا يطل على المراعى من غير بحيرات ولا ينابيع ؟

الفارس : هيا يا برتا ، سألحق بك .

الفارس يأتى نحو أوندين .

الفارس : لماذا هذا الخوف من المياه ؟ ما الذى بينك وبين الماء ؟

أوندين : بين الماء وبينى ، لا شىء .

الفارس : اذا كنت تعتقدين أننى لا أراك . انك لا تتركيننى أبدا لأقترب من أى نهر . وتضعين نفسك بين البحر وبينى . واذا جلست على سور أحد الآبار تسحبيننى بعيدا .

أوندين : احذر المياه يا هانز .

الفارس : نعم ، قصرى يقع بين الأمواه ، وسآخذ فى الصباح حمامى تحت الشلالات وسأصطاد عند الظهيرة على بحيرتى وفى المساء سوف أغطس فى الرين . اننى أعرف مكان كل دوامة وكل هوه . اذا كانت المياه تعتقد أنها تستطيع أن تخيفنى فهى مخطئة فى هذا . المياه لا تعى شيئا . المياه لا تسمع شيئا !

يخرج . كل نافورات المياه حول القاعة ترتفع فجأة .

أوندين : لقد سمعته .

(تتبعه)

الحاجب : آه لقد أجدت ! اننى أتوق لمعرفة الخاتمة . الى متى البقية ؟

الساحر : الساعة اذا أردت .

الحاجب : ولكن ما هذا الوجه ؟ ان بى تجاعيد الآن ! لقد أصبحت أصلعا .

الساحر : هذه ارادتك . فى ساعة واحدة مرت عشرة سنوات .

الحاجب : عندى طقم أسنان ؟ اننى أتمتم ؟

الساحر : أيجب أن أستمر يا صاحب السعادة ؟

الحاجب : لا لا ! استراحة ! استراحة !

ستار ..

الفصل الثالث

فناء القصر . ساعة الصباح فى يوم زواج برتا والفارس

المنظر الاول

برتا . هانز . خدم

أحد الخدم : لقد اتخذ الكورال مكانه بين الكورس .

هـــانز : ماذا تقول ؟

أحد الخدم : يتحدث عن المغنين الذين سيحيون حفلة زفافك .

هـــانز : وأنت ألا يمكنك أن تتكلم بطريقة أخرى ؟
ألا يمكنك التحدث بلغة أبسط من هذه ؟

أحد الخدم : حياة مديدة لبرتا ! فلتحيا العروس !

هـــانز : أغرب عن وجهى ! ..

برتا : لم هذا الغضب يا هانز فى يوم كهذا ؟

هـــانز : كيف ؟ أنت أيضا !

برتا : سأصبح زوجتك ، ويتجهم وجهك هكذا !

هـــانز : أنت أيضا ! تتكلمين مثلهم !

برتا : ما الذى أســـاءك الى هذا الحد من أقوالهم ؟ كانوا مبتهجين لسعادتنا .

هـــانز : كررى جملتك .. بسرعة ! بسرعة ! دون أن تغيرى منها حرفا واحدا ! ..

برتا : ما الذى أساءك الى هذا الحد من أقوالهم ؟ كانوا مبتهجين لسعادتنا .

هـــانز : أخيرا ! شكرا !

برتا : انك تخيفنى يا هانز « منذ بضعة أيام وأنت تخيفنى ..

هـــانز : أنت التى تعرفين كل شىء عن آل ويتشتين ، اعلمى أيضا هذا : اليوم الذى لابد أن تزورهم فيه المصائب « يتكلم الخدم بدون مقدمات لغة مبجلة . تصبح جملهم موزونة وكلماتهم نبيلة . كل ما يحتفظ به الشعراء لأنفسهم فى هذا العالم ينتقل فجأة الى الغسالات والى السواس . يرى بسطاء القوم فجأة ما لم يكونوا ليروه أبدا منحنيات الأنهـــار ، مســـدس الزوايا لأقراص العسل ، يفكرون فى الطبيعـــة ، يفكرون فى الروح .. وفى المساء يحل البلاء .

برتا : جملهم لم تكن أبياتا من الشعر . لم تكن لها قافيـــة .

هـــانز : عندما يسمع آل ويتنشتين واحدا منهم يتكلم بالشعر أو ينشد قصيدة فهذا معناه أن الموت متربص له .

برتا : أوه يا هانز ، هذا لأنه فى المناسبات الكبيرة تسمو آذان آل ويتنشتين بالأصوات . ولكن لابد وأن هذا يسرى على الأعياد كما يسرى على الحداد !

هـــانز : حتى راعى الخنازير ، هكذا يقولون . ســنرى هذا (الى أحد الخدم) هل تعرف يا أنت أين راعى الخنازير ؟

احد الخدم : فوق رابيه السمار ..

هـــانز : اقفـــل فمـــك .. اذهب واحضر لى راعى الخنازير ..

الخـــادم : تحت أشجار الطلح ..

هـــانز : وأسرع !

برتا : أوه يا هانز ، اننى أشكر الخادمات اللائى تركن لى فى هذا الصباح كل كلمـــاتهن المتواضـــعة

ليقلن لك انني أحبك . انني بين ذراعيك .
هانز لماذا هـذا الوجه المتجهم ؟ مالذي ينقصك
في هذا اليوم ؟

هـانز : أن أنتقم لنفسي ، أن أرغمها أمام المدينة مجتمعة
على الاعتراف بحالتها وبجريمتها .

برتا : منذ ستة شهور اختفت أوندين . ألم تستطع
أن تنساها ؟ على أية حال فاليوم هو يوم
النسيان !

هـانز : لكم كذبت علي !

برتا : لم تكذب عليك . أي شخص سواك كان ليخمن
أنها ليست منا . هل اشتكت مرة ؟ هل قالت
مرة واحدة لا لارادتك ؟ هل رأيتها أبدا غاضبة
أو مريضة أو آمرة ! بم اذن يمكنك التعرف
على النساء الحقيقيات !

هـانز : بخياناتهن .. لقد خانتني .

برتا : أنت وحدك لم تكن ترى . أنت وحدك لم تلحظ
أنها لم تستعمل قط لفظ امرأة . هل سمعتها

قط تقول : لا يقولون هذا لامرأة . لا يفعلون
هذا لامرأة ؟ كلا .. كل شيء فيها كان يقول :
لا يقولون هذا لجنية ، لا يفعلون هذا لجنية .

هانز : أن أنسى أوندين ، هل ستسمح لى بهذا ! هذا الصوت الذى استيقظت عليه فى صباح يوم هروبها : لقد خنتك مع برترام ! .. ألم يعلو كل صباح من النهر ومن الينابيع والآبار . ألم يدوى به القصر والمدينة بما فيها من نافورات وقنوات فى كل ساعة ألم تصرخ به الجنية الخشبية التى فى ساعة الحائط مع كل ظهر ؟ لماذا تتحمس لتعلن على الملأ انها خانتنى مع برترام ! ..

الصدى : مع برترام !

برتا : فلنكن أمناء يا هانز . كنا قد خناها بالفعل . ربما كانت قد فاجأتنا ونحن نخونها وانتقمت لنفسها .

هانز : أين هى ؟ ماذا تفعل ؟ جميع الصيادين يطاردونها بلا جدوى منذ ستة شهور . ومع هذا فهى ليست بعيدة فقد وجدوا عند الفجر على باب المعبد

هذه الصحبة من نجوم البحر والرتسه .. هي وحدها التى يمكنها أن تتركها بقصد السخرية منــا ..

برتا : يكفى أن يكتشف أمرهن مرة لتختفين أو تعدن لتغطسن .. أعتقد أن التعبير يلائم جنيات البحر أيضا .. لقد غطست .

هــانز : لقد خنتك مع برترام ! .. من الذى تكلم ؟

الصدى : مع برترام !

برتا : أوه يا هانز ، اننا ندفع ثمن غلطتك . ما الذى أمكنه أن يغريك فى هذه الفتاة ! من الذى أمكنه أن يقنعك أنك ولدت للمغامرات ! أنت ، صياد جنيات ! اننى أعرفك . اذا كنت تريد أن تكون صريحا مع نفسك ، أعترف أن الذى جعل قلبك يدق بشدة فى الغابات المســكونة بالجان هو عثورك على كوخ مهجور لبعض الحطابين ودخولك فيه بعد أن أحنيت رأســك ثم عندما وجدت فيه رائحة الأثاث العطنه وبعض قطع الفحم التى لم تخمد بعد حيث يسكنك أن

تشوى طيرا مما اصطدته وأن تشعل غليونك ..
وانا اتخيلك وانت داخل هذه القصور التى يقال انها للسحرة ..
اننى متأكدة من انك كنت تطيل فى فتح الدواليب ثم تنزل الملابس من على المشاجب وتتزين بأغطية الرأس القديمة .. كنت تعتقد انك تبحث عن الأرواح ولكنك لم تتبع أبدا الا الدرب الآدمى ..

هانز : لقد أسأت تتبعه .

برتا : لقد اضعته ولكنك عدت فوجدته . فى هذه الليلة من ليالى الشتاء عندما قلت لى انك ما زلت تحبنى وعندما هربت ، وجدته خلف القرية عندما رأيت خطواتى على الجليد . كانت واسعة وعميقة ، كانت دلالة على كل تعبى ويأسى وحبى . لم تكن هذه آثار أوندين التى تكاد لا ترى والتى لا يراها حتى كلابك . والتى تظل على الأرض الصلبة كما لو كانت خطوطا تركها القارب خلفه فى الماء . كانت خطوات امرأة تحمل فى جوفها الحياة البشرية امرأة تحمل ابنك المقبل كانت خطوات زوجتك ! ولم تكن

هناك آثار لخطوات فى العودة فقد حملتنى بين ذراعيك .

هـــانز : نعم مثل برترام اذ لابد وانه اعادها محمولة بين ذراعيه .. ماذا تريد أنت أيضا ؟

احد الخدم : هذا هو راعى الخنازير الذى طلبته يا سيدى .

هـــانز : حسن ، اقترب ، كيف حال خنازيرك ؟

راعى الخنازير: مزمارى من الصفصاف ومطواتى من البقس !

هـــانز : أحدثك عن خنازيرك ، عن حلاليفك !

راعى الخنازير: تحت شجرة الطلح .

هـــانز : اخرس !

الخـــادم : خذ حذرك منه ! انه أصم !

راعى الخنازير: حيث تكون الظلال ..

هـــانز : ضع يدك على فمه !

الخـــادم : يتكلم داخل يدى . يتحـدث عن مسـدس الزوايا ..

هانز لخـــادم آخــر : اسكت هذا أيضا ..

الخادم الثانى: (واضعا يده على فم الخادم الأول) : لا أعرف ماذا أصابهم ! فالجميع يتكلمون بالشعر !

هـــانز : اذهبـوا واحضروا لى خـادمة المطبخ . ألا تسمعوننى ! سنرى ماذا تقول خادمة المطبخ !

المنظر الثانى

برتا ــ هانز ــ الصيادون

الصياد الأول: سيدى ! سيدى !

هــانز : كرره أربعة مرات فيصبح بيتا من الشعر !

الصياد الثانى: لقد حصلنا عليها ! لقد امسكنا بها !

هــانز : أوندين وقعت فى الشبك !

الصياد الأول: فى نهر الرين بينما كانت تغنى !

الصياد الثانى: أنها مثل الديوك البرية يمكن الاقتراب منهـا عندما تغنى !

هــانز : هل انتم متأكدون انها هى ؟

الصياد الأول: متأكدون وواثقون . كانت ملقية شـعرها على وجهها ولكن كان صوتها رائعـا ، وبشرتهـا كالقطيفـة . انهـا تبهر من يراها : انهـا هى الوحش !

الصياد الثانى: والقضاه يصعدون معها .

برتا : أى قضاه ؟

الصياد الأول: قضاه الأسقفية والامبراطورية الذين يحكمون فى حالات الخوارق . كانوا فى جولة .

برتا : ولماذا يعقدون جلساتهم فى القصر ؟ المحكمة ليست خالية ؟

الصياد الأول: يقولون يا كونتسة ، ان الجنيات يجب أن تحاكمن فوق ربوه !

الصياد الثانى: وعلى بعد من النهر ، وبعد كل هذا عليهم ان يحذروا حتى لا يصلوا اليه زحفا على بطونهم . كما أن الفارس هو المدعى فى القضية .

هانز : نعم أنا أطالب بتوقيع العقوبة فى القضية ، منذ ستة شهور وأنا أنتظر ذلك .. اتركينا يا برتا .

برتا : هانز ، لا تقابل أوندين !

هانز : لن اقابل أوندين . ألا تسمعين ما يقولون .. سأقابل احدى الجنيات كائن محروم من الحياة البشرية ، من الصوت البشرى والذى لن يتعرف على .

برتا : هانز عندما كنت فتاة صغيرة كنت مغرمة

بنمس . كان هذا فى الخيال لم يكن له وجود . ولكننا كنا ننام معا . وكان عندنا أطفال . والى الآن عندما أمر بحديقة حيوان القصر أتوقف وأنا أرتعد أمـــام قفص النمس . هو كذلك لا يذكرنى هو كذلك قد نسى اننى كنت أضع على رأســه الغطاء القرمزى وأنه أنقذنى من الأقزام العمالقة وان ابنتينا التوأمين چنفيتى وبرتلانج قد تزوجتا من ملك آسيا .

سأشــعر بخطيئتى اذا ذهبت لرؤيته فى يوم زفاف ..

احد الخدم : القضاه يا سيدى :

هـــانز : لحظة يا برتا ، وبعدها نكون فى سلام .

ســـــتار

المنظر الثالث

هانز . القضاه . فواح من الناس

القاضى الأول : هذا رائع ! .. ارتفاع متوسط . نحن بالتحديد فوق مملكة الماء وتحت مملكة الهوء .

القاضى الثانى : لقد رسى قارب نوح عند هبوط الطوفان على احدى هذه الربوات أيها النـاس الطيبون . وكان على نوح ان يحاكم الوحوش البحرية التى هاجمت أزواجها الجهنمية قاربه من فتحة الهواء .. تهانينا أيها الفارس .

هـــانز : لقد جئتم فى الوقت المناسب .

القاضى الأول : انه لأسهل بكثير أن تحكم فى خلاف بين سيدين بشأن الحدود الفاصلة بين مزارع الكروم الخاصة بهما من أن تحكم فى الحـد

الفاصل بين البشر والأرواح ، ولكن الاستجواب
هنا يبدو بسيطا .. انها أول مرة نحاكم فيها
جنية لا تنكر على الاطلاق كونها جنية .

القاضي الثاني : اذ لا توجد حيلة ، أيها الفارس ، الا واستخدمتها
هذه الكائنات لتهرب من التحقيق الذى نقوم
به معها . ثم انهم كثيرا ما يكشفون عن نقص
فى معارفنا .

القاضي الأول : فى الواقع لقد أثبتوا ذلك يا زميلى العزيز ،
منذ يومين عندما حكمنا فى قضية كروزناخ
Kreuznach على المدعوة دوروتيه Dorotheé
خادمة مدير البوليس . لقد كنت معتقدا أنها
سمندر ، هذا النوع من السحالى الذى لا يحترق
وقد وضعناها فى النار لنرى فاذا بها تحترق ..
لقد كانت احدى جنيات البحر .

القاضي الثاني : البارحة كذلك أيها الرئيس العزيز مع جرترود
Gertrud ذات الشعر الأحمر والتى يختلف لون
كل عين من عيونها عن الأخرى لقد كانت تقدم البيرة
فى توبنجن Tübingen وكانت الأكواب تمتلىء

من نفسها دون أن تمسها يد انها معجزة لا مثيل لهـا .

قذفنا بها تحت الماء بعد ربطها بخيط من الصلب ولكنها غرقت اذ كانت فى هذه المرة سمندر .

هـانز : هل صعدت أوندين معكم .

القاضى الأول : قبل أن نستدعيها يجدر بنا أن نعرف أيها الفارس بما أنك المدعى فى هذه القضية ، أية عقوبة تطالب بتوقيعها على المتهمة ؟

هـانز : الذى أطالب به ؟ أطالب بما يطالب به هؤلاء الخدم بما تطالب به هذه الفتيات أطالب بحق الناس فى أن يتركوا وشأنهم على هذه الأرض . فالجزء الذى وهبه الله لهم ليس بكبير ، هذا السطح البالغ ارتفاعه مترين بين السماء والجحيم ! كما أن حياة الانسان ليست جذابة الى هذا الحد بهذه الأيدى التى يجب غسلها والزكام الذى يجب أن تتخلص من افرازاته وخصلات الشعر التى تتخلى عنا .. الذى أطالب به هو أن نعيش دون أن نشعر من حولنا بتكاثر هذه الأرواح الغير آدمية التى تتحرش بنا وهذه

.. فى صباح يوم
زفافى أطالب بأن أكون وحيدا مع خطيبتى فى
عالم خـــال من زياراتهم ومن أمزجتهـــم
وازدواجهم ، وحيدا مع خطيبتى هـذا هو كل
ما أريد .

القاضى الأول : هذا اذن هو مطلبكم الأعظم .

القاضى الثانى : انهم يضايقوننا بدون أدنى شك . فهم يجدون
متعتهم فى مشاهدتنا ونحن نغسل أرجلنا ونحن
نقبل زوجاتنا أو خادماتنا ونحن نضرب أطفالنا
على مؤخراتهم .. ولكن الواقع لا يمكن انكاره :
فحول كل حركة بشرية من أدنئهـا الى أنبلها
تجدهم يتجمعون ويلتفون من حـــولك
وكأنهم حول مائدة طعام أو مشهد معجزه .

.. ها هى المتهمة ! يحتفظ بها
أحد الحراس واقفة . لأنها اذا نامت على بطنها
ستفعل ما فعلته المرأة ســـــمكة الثعبان التى
أمسكنا بها يوم الأحد ستكون فى الرين قبل
أن نلحق بها ..

المنظر الرابع

أوندين ، هانز . القضاه . جمع من الناس

القاضى الثانى : أصابع يدها ليست متشابكة . انها تلبس خاتما .

هــــانز : اخلعوه .

أوندين : مستحيل ! مستحيل !

هــــانز : انها دبلة زواج . وأنا أحتاج اليها الساعة .

القاضى الأول : أيها الفارس ..

هــــانز : العقد كذلك . هذه الميدالية التى تحتوى على صورتى !

أوندين : اتركوا لى العقد !

القاضى الأول : أيها الفارس . هل أستطيع أن أطالبك بآداب المرافعات أن سخطك وان كنت على حق فيه الا أنه يجازف بادخال الغموض فى القضية .. دعوى التعرف أولا ؟ ..

هــــانز : انها هى !

القاضى الأول : نعم ، نعم ! ولكن أين الصياد الذى أمسك بها ؟ فليقترب الصياد الذى أمسك بها !

أولريخ : هذه أول مرة اصطاد فيها جنية بحر يا سيدى القاضى . آه اننى فى غاية السعادة !

القاضى الأول : اننا نهنئك . ماذا كانت تفعل ؟

أولريخ : كنت أشعر اننى سأصطاد جنية ! منـذ ثلاثين عاما وأنا عندى هذا الشعور . ولكنى كنت متأكدا هذا الصباح .

القاضى الأول : أيها البغل انى أسألك عما كانت تفعله !

أولريخ : وقد أمسكت بها حية ! التى أمسكوا بها فى ريجنزبرج Regens bourg قتلوها ضربا بالمجاديف . أما أنا فقد اكتفيت بخبط رأسها على حافة المركب لأفقدها وعيها فقط .

هانز : هذا صحيح أيها الحيوان ، فالدم يسيل من رأسها .

القاضى الأول : أجب عن الأسئلة ! هل كانت تعوم عندما أمسكت بها ؟

أولريخ : كانت تعـوم ، كانت تظهر رقبتها ومؤخرتها . تستطيع أن تمكث عشر دقائق تحت الماء . لقد عددتها .

القاضى الأول : هل كانت تغنى ؟

أولريخ : لا . كان يصدر عنها صوت كالنباح . كان صوتا منجوحا بعض الشيء كانت تنبح كالكلاب الصغيرة . وكان نباحها يقول ، اننى أذكره جيدا : لقد خنتك مع برترام .

القاضى الأول : انك تهذى . هل تفهم فى النباح ؟

أولريخ : عادة لا أفهمه أبدا . فالنباح ما هو الا نباح . أما هذه المرة فانني فهمت .

القاضى الأول : هل كانت تفوح منها رائحة الكبريت عندما أخرجتها ؟

أولريخ : لا كانت تفوح منها رائحة نبات الأشنة وزهور الزعرور .

القاضى الثانى : ليس لهاتين الرائحتين أية علاقة ببعضهما ! هل كان يفوح منها رائحة نبات الأشنة أم زهور الزعرور .

أولريخ : الأشنة وزهور الزعرور .

القاضى الأول : تجاوز عن هذا يا زميلى العزيز .

أولريخ : كانت تفوح منها رائحة تقول : لقد خنتك مع برترام .

القاضى الثانى : أتحدثك الروائح يا هذا ؟

أولريخ : هذا صحيح ، انك على حق . الرائحة ما هي الا رائحة ولكن هذه كانت تتكلم .

القاضي الأول : هل قاومت ؟

أولريخ : بالعكس ! تركتنا نمسك بها . كانت ترتعد فقط . رعدة معناها : لقد خنتك مع برترام !

هانز : هل انتهيت من الصراخ أيها الأبله !

القاضي الأول : سامحه أيها الفارس . فليس بالأمر الغريب أن يهذي .النفوس البسيطة لا تتحمل مثل هذه المواقف . ولكن شهادة الصياد المحترف ضرورية لنثبت شخصية الوحش المائي .. يبدو أنه لا مجال للشك .

أولريخ : أقسم أمام الله انها واحدة منهن . ورأسها ورقبتها تشبهان تماما تلك التي أمسكوا بها فى نورمبرج Nuremberg واحتفظوا بها فى حمام ساحة ووضعوا لها فيه عجل البحر .. كانا يلعبان بالكرة .. وقد أنجبا أطفالا .. انني أتساءل ما اذا لم تكن هي هذه .. الجائزة مضاعفة لمن يمسك بهن أحياء ، أليس كذلك ؟

القاضي الأول : مر علينا الليلة لتتسلمها . شكرا .

اولريخ : وشبكتى ؟ هل أستطيع أن أسترد شبكتى ؟

القاضى الاول : ستأخذها فى التاريخ المحدد لذلك . يومين بعد المرافعات .

اولريخ : لا لا يمكن ! أريدها فى الحال . انها من أدوات المهنة . على أن أصطاد الليلة ! ..

القاضى الثانى : حسن ! اذهب عنا ! لقد صـــودرت . انها لا تساوى شيئا .

القاضى الاول : أتم الفحص الشرعى يا زميلى العزيز .

هـــانز : قف ! الى أين أنت ذاهب ؟

القاضى الثانى : أنا كذلك طبيب أيها الفارس . سأكشف على جسد هذه الفتاة .

هـــانز : لن يكشف أحد على أوندين .

القاضى الاول : ان زميلى خبير لا مثيل له فهو الذى أثبت أن جوزيفا Gosepha لم تمس لالغاء زواجها وقد امتدحت كياسته .

هـــانز : أنا أؤكد أن هذه الكائنة هى أوندين ، وهذا يكفى .

القاضى الثانى : سيدى . اننى مقدر كم هو مؤلم أن ترانا نفحص من كانت شريكة حياتك ولكننى أستطيع دون

أن ألمسها أن أدرس عن طريق العدسة أجـزاء جسدها التى يتركز فيها الاختلاف مع جسد الانسان .

هـانز : انظر اليها بالعين المجردة ومن مكانك .

القاضى الثانى : ان رؤية شبكة الأوردة ثلاثية الفصوص التى ترسم حية الاغراء تحت ابط جنية البحـر بالعين المجـردة تبدو لى أمرا غير عمـلى . ألا تستطيع على الأقل أن تمشى أمامنا ، أن ترفع هذه الشبكة وتبعد ساقيها عن بعضهما !

هـانز : لا تتحركى يا أوندين !

القاضى الثانى : سنفقد الرضاء بالحاحنا ، والمعاينة تبدو كافية . أيها الناس ، هل منكم من يرفض الاعتراف بأن هذه السيدة جنية .

جريت : كانت طيبة جدا !

القاضى الثانى : كانت جنية طيبة . هذا كل ما فى الأمر ..

راعى الخنازير : كانت تحبنا وكنا نحبها !

القاضى الثانى : هناك أنواع متوادة حتى من السحالى ..

القاضى الأول : فلنبدأ اذن المرافعة . وهكذا أيها الفارس فأنت تلح فى المطالبة بصفتك زوج وسيد باتهام هذه

الفتاة بأنها قد تسببت لكونها جنية فى آلاف المضايقات فى المحيط الذى نعيش فيه ؟

هـــانز : أنا ، أبدا !

القاضى الأول : ألا تتهمها بأنها أدخلت فى بيتــك الأعاجيب والخوارق والأعمال الشيطانية ؟

هـــانز : أوندين شيطانة ؟ من يقول هذه السخافات ؟

القاضى الأول : انتا نسأل أيها الفارس ! ما هو الغير طبيعى فى هذا السؤال ؟

ملك الجان : (فى هيئة رجل من الشعب) أوندين شيطانة !

القاضى الأول : من تكون أنت ؟

أوندين : أسكته ! انه يكذب !

القاضى الثانى : حرية الكلام مكفولة فى مثل هذه القضايا .

ملك الجان : أوندين شيطانة ! هذه الجنية على العكس من ذلك تتنـــــكر للجنيات لقد خانتهم كان فى استطاعتها أن تحتفظ بقوتهم وعلمهم كان فى امكانها أن تفعل عشرين مرة فى اليوم ما تسمونه أنتم بالمعجزات فتنبت خرطوما فى رأس حصان زوجها وأن تجعل كلابه مجنحين وتجعل الرين والسماء تجيبان على ندائها وتأتيان بالمعجزات .

لا ، انها قبلت التواء المفاصل والزكام
والطبخ بالدهن ! أليس كذلك أيها الفارس ؟

القاضى : تتهمها اذن ـ حسب ما فهمت من قولك ـ بأنها
أندست بيننا بخبث لتسرق الأسرار الآدمية ؟

هـانز :أنا ؟ بالطبع لا ! ..

ملك الجان : اذا كان لإمرء ان يسخر من الأسرار
الآدمية فهى خير من تفعل هذا . لا شك
فى أن الرجال لهم كنوزهم من الذهب
والمجوهرات ولكن الذى كانت تفضله أوندين
لم يكن الا أحط الأشياء فكانت تفضل مقعده
وملعقته ....

هذا : انها أكثر النساء دمية وذلك لأنها أرادت أن تكون امرأة برعبتها هى

القاضى : يدعى بعض الشهود انها كانت تقفل الأبواب عليها بالمزلاج ساعات طويلة ؟ .

ملك الجان : هـذا صحيح ، ومـاذا كانت تفعل يا جريت عندما كانت تسجن نفسها .

جريت : كانت تصنع الفطائر يا سيدى الشاهد .

القاضى الثانى : فطائر ؟

جريت : لقد استمرت تعمل شهرين لتنجح فى صـنع العجينة .

القاضى الثانى : هذه واحـدة من ألطف الأسرار الانسانية .. ولكن يقولون انها كانت تربى الحيوانات فى فناء لا يدخله أحد ..

راعى الخنازير: نعم بعض الأرانب وكنت أحضر لها البرسيم .

جريت : والدجاج ، كانت تنزع بنفسها ما يتراكم على ألسنتها ويمنعها من الأكل .

القاضى الثانى : وكلابها ألم تكن تتكلم يا فتاتى الصغيرة . هل أنت متأكدة وقططها كذلك ؟

جريت : لا . أنا كنت أكلمهم . أحب التحدث الى الكلاب .. ولكنهم لم يجيبونى قط .

القاضى الأول : أيها الشهود . شكرا . سنعمل حساب هذا الموقف فى حكمنا . فلتعترف الشياطين والعفاريت وغيرهم من الزوار المتطفلين بعظمة وعبقرية الحياة الانسانية . وليعترفوا بمهارتنا فى صناعة فطائرنا وتبييض نحاسنا وطريقتنا فى علاج الأجزيما والجروح اذ لا يمكننا أن نجعل كل هذا فى مقدورهم .

القاضى الثانى : فيما يخصنى انا شخصيا أعبد عجينة الحلوى . لا بد وانها استعملت الزبدة قبل أن تنجح فى صنعها ؟

جريت : قوالبا منها !

القاضى الأول : سكون .. ها نحن فى صميم القضية : ايها الفارس لقد فهمت أخيرا ما تريده . أيتها المرأة هذا السيد يتهمك بأنك أدخلت فى بيته بدلا من المرأة المحبة التى كان يتوق اليها والتى انتحلت صورتها لبعض الوقت ، كائنا وهب

نفسه لصغائر الأمور . كائنا لا يهمه الا ملذات الحياة الحقيرة ، كائنا أنانيا وخال من الاحساس

هانز : أوندين لم تحبنى ؟ من يجرؤ على ادعاء هذا ؟

القاضى : يبدو أنه من الصعب متابعتك ايها الفارس ...

هانز : أوندين أحبتنى كما لم يحب رجل قط فى حياته ...

القاضى الثانى : هل أنت متأكد مما تقول الى هذا الحد ؟ انظر اليها : انها ترتعد خوفا لمجرد سماعها ما تقول .

هانز : خوفا ؟ اذهب وافحص هذا الخوف بعدستك أيها القاضى ! انها لا ترتعد خوفا ، انها ترتعد حبا ! .. نعم بما انه الآن دورى فى الاتهام سأتهم . خذ قلمك يا كاتب الجلسة ! وضع غطاء رأسك أيها القاضى ! انكم تحكمون أحسن ورؤسكم دافئة . اننى أتهم هذه المرأة بأنها ترتعد حبا لى ، بأنها لا تفكر الا فى . أنا اله هذه المرأة ، هل تسمعوننى !

القاضى : أيها الفارس ..

هـــانز : ما زلتم تشكون ! أوندين ما هـو تفكيرك الوحيد ؟

أوندين : أنت .

هـــانز : ما هو خبزك ؟ ما هو خمرك ؟ عنـــدما كنت ترأسين مائدتي وترفعين كأســـك ماذا كنت تشربين ؟

أوندين : أنت .

هـــانز : من هو الهك ؟

أوندين : أنت .

هـــانز : هل تسمعونها أيها القضاه ! انها تدفع بالحب الى الالحاد .

القاضي : لا تبالغوا أرجوكم . لا تعقدوا القضية ، تريد فقط أن تقول انها تحترمك .

هـــانز : لا ليس هذا ما تريده على الاطلاق . أنا أعرف ما أقول وعندي براهين . كنت تركعين أمـــام صـــــورتي ، أليس كذلك يا أوندين ؟ كنت تقبلين طرف ثوبي ! كنت تقيمين صـــلواتك باسمي !

أوندين : نعم .

هـــانز : القديسون كانوا أنا . الأعياد كانت أنا . فى عيد السعف من كنت ترين داخلا الى بيت المقدس على حماره ؟

أوندين : أنت .

هـــانز : وبماذا كانت تلوح الســـيدات من فوق رأسى وهى تهتف باسمى ؟ ألم تكن أغصان النخيل ، ماذا كانت ؟

الفـــارس : أنت .

القاضى : ولكن الى أين تريد أن تصل بنا أيها الفارس ! اننا هنا لنصدر حكمنا على جنية لا على الحب .

هـــانز : ذلك لأن القضية تكمن هنا . فليدخل الحب هذا القفص بمؤخرته المزينة بالشرائط وحقيبة سهامه ، انه هو المتهم . اننى أتهم أصدق حب على كونه الحب الكاذب والحب الملتهب على كونه الحب الملعون بما أن هـــذه المرأة التى لم تكن تحيا الا بحبها لى قد خانتنى مع برترام !

آلصدى : مع برترام !

القاضى الأول : اننا نضيع وسط المتناقضات أيها الفارس ! امرأة تحبك الى هذا الحد لا يمكنها أن تخونك .

هـــانز : أجيبى أنت ! هل خنتنى مع برترام ؟

أوندين : نعم .

هـــانز : اقسمى ! اقسمى على ذلك أمام القضاة

أوندين : آقسم أننى خنتك مع برترام .

القاضى : تأكيداتها هــــذه

لا تثبت شيئا : انك تترك لها قدرا ضئيلا جدا من التصرف فى اجاباتها . يا زميلى العزيز أنت الذى نجحت فى اظهار خطأ جنفييف دوبرابان Genevieve de Brobant نفسهــا عنـــدما كانت تؤكد أنها تفضل غزالها على زوجها وانها تفضل انتفاخات أنف غزالها على وجنات زوجها ، وجه الى هــــذه الجنية الثلاث أسئلة المفحمة .. السؤال الأول ..

القاضى الثانى : (مشيرا الى هانز) أوندين ، عندما كان يجرى هذا الرجل ماذا كنت تفعلين ؟

أوندين : كنت أنهج .

القاضى الأول : السؤال الثانى ! ..

القاضى الثانى : وعندما كان يجرح اصبعه .

أوندين : كان يسيل منى الدم .

القاضي الأول : السؤال الثالث ! ..

القاضي الثاني : وعندما يتكلم وعندما يرتفع شخيره فى رقاده .. أرجو المعذرة أيها السيد .

أوندين : كنت أسمع غناء .

القاضي الثاني : لا توجد ثغرة فى اجاباتها . انـها تبـدو صادقة ! .. وهذا الشخص الذى كان بالنسبة لك كل شيء ، خنته ؟

أوندين : نعم ، خنته مع برترام ..

ملك الجان : لا تصيحى هكذا ، فقد سمعت ..

القاضي الثاني : انك لا تحبين سواه ولا وجود لغيره ومع هـذا فقد خنته ؟

أوندين : مع برترام .

هـانز : ها قد عرفتم كل شيء !

القاضي الثاني : هل تعرفين ما هى عقوبة الزوجة الخائنة ؟ هل تعرفين ان الاعتراف بهـذه الخطيئة تضاعف العقاب بدلا من تخفيفه ؟

أوندين : نعم ، ولكننى خنته مع برترام .

ملك الجان : انك توجهين كلامك لى أليس كذلك يا أوندين ؟ انك تتحرشين بى . حسن كما تريدين ! ولكن

استجوابى سيضيق عليـــك الخناق أكثر من القضاة . أوندين أين برترام الآن ؟

أوندين : فى اقليم بورجونى على أن ألحق به هناك .

ملك الجان : أين خنت زوجك معه ؟

أوندين : فى الغابة .

ملك الجان : فى الصباح ؟ فى المساء ؟

أوندين : ظهرا .

ملك الجان : هل كان الجو باردا ؟ هل كان الجو حارا ؟

أوندين : كان الجليد يتساقط . وقال برترام : ان الثلج سيحفظ حبنا ! .. لا يمكن أن تنسى هـــذه الكلمات .

ملك الجان : حســـن .. احضروا برترام ... من مواجهتكم ببعضكم ستولد الحقيقة .

القاضى : برترام اختفى منذ ستة أشهر . العدالة الانسانية لم تستطع العثور عليه .

ملك الجان : هذا لأنها ليست حقا قوية .. ها هو ! (برترام يظهر فجأة) .

أوندين : برترام ، يا حبيبى !

القاضى : هل أنت الكونت برترام .

برترام : نعم .

القاضى : هذه السيدة تؤكد انها خانت زوجها الفارس معك .

برترام : اذا كانت تقول هذا . فلابد وأنه صحيح .

القاضى : أين حدث ذلك ؟

برترام : فى غرفتها الخاصة . هنا فى هذا القصر .

القاضى : صباحا ؟ مساء ؟

برترام : فى منتصف الليل .

القاضى : الجو أكان باردا أم حارا ؟

برترام : كانت الأخشاب تتأجج فى المدفأة . وقالت أوندين : نشعر بالسخونة عندما نقترب من الجحيم .. لا يمكن اختراع هذه الكلمات .

ملك الجان : عظيم . كل شىء واضح الآن .

اوندين : ما الذى تجده عظيما ! لماذا تشك فى أقوالنا ؟ اذا كانت اجاباتنا لا تتفق فذلك لأننا أحببنا بعضنا دون تحفظ ومن غير موانع هذا لأن العاطفة تركتنا بلا ذاكرة .. الأبرياء فقط هم الذين يستطيعون فقط التوفيق بين اجاباتهم !

ملك الجان : أيها الكونت برترام . خذ هـــذه السيدة بين ذراعيك وقبلها .

برترام : انني لا أتقبل الأوامر الا منها .

القاضي الأول : وقلبك ألا يعطيك الأمر ؟

ملك الجان : اطلبي منه يا أوندين أن يقبلك . وكيف تريدين منا تصديقك اذا كنت لا تسمحي له بتقبيلك !

أوندين : كما تريد . قبلني يا برترام .

برترام : أنت تريدين ذلك ؟

أوندين : أطالبك به . قبلني ! .. لحظة . لحظة صغيرة ! .. اذا انتفضت أو قاومت عـــــدما تقترب مني سيكون هذا رغما عني لا تهتم بالأمر .

ملك الجان : اننا ننتظر .

أوندين : ألا يمكنكم اعطائي معطفا ، رداءا ؟

ملك الجان : لا احتفظي بأذرعك عارية .

أوندين : حسن .. أحسن .. انني أعبد أن يقبلني برترام وهو يداعب كتفي العاريتين . هل تذكر هـــذه الليلة الجميـــلة يا برترام ! .. انتظر ! .. اذا صرخت عندما تأخذني بين ذراعيك يا برترام فهذا لأن أعصابي متوترة من تأثير هذا اليوم ..

لا تغضب منى .. قد يحدث على كل حال أن
لا أصرخ ..

ملك الجان : هل استقر رأيك ؟

أوندين : أو اذا أغمى على . اذا أغمى على يمكنك أن تقبلني كيفما تشاء يا برترام كيفما تشاء .

ملك الجان : حان الوقت .

برترام : أوندين !

يقبلها .

أوندين : (وهى تقاوم) هانز ! هانز !

ملك الجان : وها هو البرهان أيها القضاة . بالنسبة للفارس، وبالنسبة لى انتهت القضية .

أوندين : أى برهان ؟ (يقوم القضاة) ماذا بك ؟ ماذا تعتقد ؟ ألأننى قلت هانز عندما قبلنى برترام . هل هذا برهان على اننى لم أخنه ؟ اذا كنت أصيح باسمه فى كل مناسبة فهذا لأننى لا أحبه ! هذا لأن اسمه يتبخر منى ! عندماأقول هانز فهذا أقل ما أعنيه منه . وكيف لا أحب برترام ؟ انظروا اليه له قامة هانز ! وجبين هانز !

القاضى الثانى : المحكمة تتكلم .

القاضى الأول : أيها الفارس . يبدو ان دورنا قد انتهى فى هذه

القضية هل تسمح بأن نعلن حكمنا . هذه الفتاة أوندين أذنبت فى أنها تعمدت تضليلنا بأن تركت طبيعتها . ولكن واضح أنها لم تأت الينا الا بالطيبة والحب .

القاضى الثانى : ولكن هذا كثير : اذا أحب الناس بعضهم بعضا بهذا الشكل فى هذه الحياة ، ليس هذا للتخفيف ..

القاضى الأول : أما لماذا أرادت أن نعتقد فى علاقتها مع برترام فهذا ما لا نفهمه ولن نحاول أن نبحث عن سببه لأنه يمس علاقتكم الزوجية وتحفظكم . سنعفيها من التعذيب والعقوبة العلنية . سنقطع رقبتها الليلة من غير شهود . والى أن يحين موعد تنفيذ الحكم اخترنا لحراستها الجلاد وهذا الرجل لنعبر له عن شكرنا لمساعدته لنا فى ميدان العدالة .

(يشير الى ملك الجان)

القاضى الثانى : وبما أن موكب العرس ينتظر أمام الكنيسة ، اسمحوا لنا أن نتبعكم لنقدم لكن تمنياتنا .

(تظهر خادمة المطبخ ، وتبدو للبعض وكأنها الجمال كله وللبعض الآخر خادمة قذرة ..)

هـانز : من تكون هذه ؟

القاضي : ماذا ، أيها الفارس ؟

هـانز : من تكون هـذه التي تتقدم رأسا نحوي كما لو كانت عمياء أو كقارئة الغيب ؟

القاضي : اننا لا نعرفها .

أحد الخدم : انها خادمة المطبخ التي تغسل الصحون يا سيدي ، لقد أرسلت في طلبها .

هـانز : ما أجملها !

القاضي الأول : جميلة ، هذه القزمة ؟

جريت : ما أجملها !

أحد الخدم : جميلة ! انها في الستين من عمرها !

القاضي : تقدمنا أيها الفارس .

هـانز : لا ، لا يستحسن أن نستمع أولا الى من تغسل الصحون . سنعرف منها نهاية هذه القصة .. اننا نستمع اليك أيتها الخادمة .

القاضي الثاني : انه مجنون ..

القاضي : انني أشفق عليه . ولكننا نفقد صوابنا لما هو أقل من هذا ..

الخادمة : أنا الخادمة التي تغسل الصحون . جسدي قبيح وروحي جميلة .

هـــانز : هذا كلام مقفى ، أليس كذلك ؟

القاضى : لا على الاطلاق .

الخادمة : يعهدون الى بأحط الخدمات .
وأجد المجد فى رفى الشرابات .

هـــانز : لن تقولوا ان هذه ليست مقفاة .

القاضى : هذه أبيات من الشعر ؟ هل تشعر بطنين فى أذنيك ؟ أين هى هذه الأبيات ؟

راعى الخنازير: بلى ! انها بالفعل أبيات من الشعر .

أحد الخدم : بالنسبة لخنازيرك نعم ! أما بالنسبة لنا فهى نثر .

الخادمة : أعيش على الخبز والزبد الزنخ
ولكن ألمى من أرفع المراتب
وفى دموعى من الأملاح
قدر ما فى دموع الأباطرة
ومكر خادم الحظيرة يضنينى قدر ما تضنينى الملكة
وعندما يقول لها الملك فى المساء
لن أكون هنا قبل الغذاء
أيها المسيح هل ستفرق بيننا
عندما نكون أمام قلعتك فى انتظار دخولنا

بما انك سترى على جباهنا
نفس الأشواك وكل أخطائنا
وستخلط يوم عيدك بيننا
وتضع التاج على رأسى أنا
وستقول : السماء فتحت لكم
يا ملكاتى فكم قاسيتم .

هـــانز : أليس هذا ما نسميه قصيدة ؟ انها قصيدة ؟

القاضى الأول : قصيدة ! لقـــد سمعت خادمة تشكو لأنهم اتهموها بسرقة الملاعق الفضية .

القاضى الثانى : وأن تشققات أقدامها تدمى منذ نوفمبر الماضى .

هـــانز : أليس هذا منجلا الذى تحمله بجانبها ؟

القاضى : لا ، انه مغزل .

جريت : منجل ، منجل من ذهب !

أحد الخدم : مغزل .

راعى الخنازير : منجل . ومنجل قاطع ! فأنا أفهم فى هذه الأمور .

هـــانز : شكرا . أيتها الخادمة . سأحضر فى الميعاد ! .. تعالوا أيها السادة !

أحد الخدم : بدأوا الصلاة ، يا سيدى ..

(الجميع يخرجون ما عدا أوندين وخالهـا والجلاد)

المنظر الخامس

أوندين ــ ملك الجان الذى أحال باشارة من يديه الجلاد الى تمثال من الجليد الاحمر .

ملك الجان : النهاية تقترب يا أوندين ..

أوندين : لا تقتــله ..

ملك الجان : اتفاقنا يستوجب ذلك . لقد خانك .

أوندين : نعم لقد خانني . نعم أردت أن أجعلك تعتقد انني كنت البادئة بالخيــانة . ولكن لا تحكم على عواطف البشر بمقاييسنا نحن الجان . فغالبا ما يخون الرجل زوجته وهو يحبها . غالبا من يخون زوجته يكون أكثر الرجال اخلاصا . كثير من النــاس يخونون من يحبــــون حتى لا يصابوا بالغرور ، وحتى يرضـــخوا وحتى يشعر بأنه شيء بسيط بالقرب من اللاتي هن كل شيء . أراد هانز أن يجعل مني زنبقة في بيته وردة تمثل الاخلاص . التي دائما عــلى

حق ، التى لا تخطىء أبدا .. كان طيبا أكثر من اللازم .. وقد خانتنى .

ملك الجان : ها أنت قد أصبحت شـــبه امرأة يا أوندين المسكينة !

أوندين : لم تكن لديه وســـيلة أخرى .. أنا لا أرى وسيلة أخرى .

ملك الجان : كان الخيال ينقصك دائما .

أوندين : عادة فى ليالى الأعيـــاد الخيرية ترى الأزواج يعودون الى منازلهم منحنى الظهور وفى أيديهم الهدايا . لقد خانوا لتوهم . وتشرق الزوجات .

ملك الجان : لقد أعطاك التعاسة ..

أوندين : بلا شك . ولكن فى هذه النقطة أيضا ما زلنا عند البشر . أن أكون تعسة هذا لا يثبت اننى لست سعيدة . أنت لا تفهم شيئا فى هذا : ذلك لأنه فى هذه الأرض المليئة بمناطق الجمال ، أن نختار المكان الوحيد الذى تقابل فيه الخيـــانة والالتباس والكذب وأن تنغمس فيه بكل قوانا ، هذه هى السعادة بالنسبة للرجال . اذا لم يفعلوا

ذلك أصبحوا شواذا ، فكلما تألم الانسـان كلما ازدادت سعادته . انني سعيدة . انني أسعد من فى الوجود .

ملك الجان : سيموت يا أوندين .

أوندين : انقذه .

ملك الجان : ماذا يهمك ! لن تحتفظى بذاكرة البشر الا لبضعة دقائق فقط . اخوتك سينادونك ثلاث مرات وستنسين كل شيء .. انني أوافق على أن يموت فى اللحظة التى تنسين فيها . سيكون هذا عملا انسانيا . على أية حال لم أعد حتى فى حاجة الى قتله . انه يعانى سكرات الموت .

أوندين : ما زال شابا وقويا !

ملك الجان : انه يعانى سكرات الموت . أنت التى قتلته .

.. مثل هذا يحدث عند الرجال .
ليس على أشجار البلوط ولا على الجرائم والوحوش يبذل الحطابون والفضاء والفرسان جهودهم وانما على عود رفيع من الحيزران وعلى البراءة وعلى فتاة صغيرة تحب .. لم يبق له سوى ساعة ..

أوندين : لقد تركت مكانى لبرتا . كل شىء ممهد له .

ملك الجان : هل تعتقدين ذلك ! كل شىء يدور فى رأسه الآن . فى رأسه موسيقى الذين يسوتون . كان لكلام خادمة المطبخ عن أسعار البيض والجبن وقع آخر فى أذنه . انه ليس بالقرب من برتا . ينتظرونه بلا جدوى فى الكنيسة . انه بالقرب من حصانه .. يحدثه حصانه ويقول له : وداعا يا سيدى العزيز . سألحق بك فى السماء ! .. هذا لأن حصانه يحدثه اليوم بالشعر ..

أوندين : لا أصدقك . استمع الى هذا الغناء ! انها حفلة زفافه .

ملك الجان : انما هو يسخر من الزواج ! .. لقد انسلخ الزواج بأكمله منه كما تنزلق الدبلة من الاصبع النحيف . انه يهيم على وجهه داخل القصر . يحدث نفسه ويخطرف . هكذا يتصرف الرجال عندما يصطدمون بالحقيقة ، بالبساطة أو بكنز.. يصبحون ما يعبرون عنه بقولهم مجانين . يصبحون فجأة منطقيين لا يرضخون لا يتزوجون ممن لا يحبون ويكون منطقهم منطق النباتات والمياه والله : انهم مجانين .

أوندين : انه يلعننى !

ملك الجان : انه مجنون .. يحبك !

المنظر السادس

أوندين . هانز

يأتي هانز خلف أوندمين كما جاءت هي خلفه في كوخ الصياد

هـــانز : أنا يدعونني هانز !

أوندين : اسم جميل .

هـــانز : أوندين وهانز ، هذا أجمل اسمين في لوجود ، أليس كذلك ؟

أوندين : أو هانز وأوندين .

هـــانز : أوه لا ! أوندين أولا ! انها العنـــوان ، أوندين .. سيسمى هذا أوندين . هذه القصة التي أظهر فيها هنا وهناك كأبله كبير ، غبي كالرجال . انهم يقصدونني أنا في هذه الرواية ! أحببت أوندين لأنها أرادت ذلك وخنتها لأنه كان يجب أن أفعل ذلك .

أوندين : سامحني يا هانز .

هــانز : لماذا تقع جميعهن فى نفس الخطأ ، سواء أكانت أســماءهن ارتميز Artémese أو كليوبترة أو أوندين ! الرجال الذين خلقوا للحب هم الأساتذة ذوو الأنوف الكبيرة وأصحاب الدخل المكتنزون ذوو الشفاة الغليظة واليهــود ذوو النظارات : هؤلاء عنـدهم من الوقت ما يكفى ليشعروا ويسعدوا ويتألموا .. لا ! .. يتكالبون على قائد مسكين مثــل أنطونيو أو فارس مسكين مثل هانز ، عــلى شخص متوسط بائس .. ومنذ هـــذه اللحظة ينتهى المسكين .

من السماء الى الجحيم أخـذوا يهزوننى فى عنف ، يحطموننى ويســلخوننى ! دون أن يراعوا اننى غير موهوب لأرى جمال المغامرة .. ليس هذا من العدل .

اوندين : وداعا يا هانز .

هـــانز : وهكذا ! فى يوم ما يذهبن . فى اليوم الذى يبدأ كل شىء فى الوضوح ، فى اليـــوم الذى تدرك فيه انك لم تحب سواها ، انك تموت اذا تركتك لحظة ، فى هذا اليوم يذهبن وفى اليوم الذى تعثر فيه عليهن من جديد ، فى اليوم الذى تعثر فيه على كل شىء لما لا نهاية ، هـــذا اليوم !

قاربهن للرحيـــــل وتنفرد أجنحتهن وترفرف خياشيمهن ويقلن لك وداعا .

أوندين : سأفقد الذاكرة يا هانز .

هـــانز : وتقصدين وداعا حقيقيا ! ان العشـــاق الذين يتبادلون الوداع عادة على حافة الموت يعرفون انهم سيتقابلون ويصطدمون ببعضهم بلا توقف فى الحياة الأخرى . وانهم سيكونون دائما جنبا الى جنب ويتفاهمون بلا انقطـــــاع بما أنهم سيصبحون أشـــباحا فى نفس المجال . انهم يفترقون على أن يتجدد الفراق . ولكن أوندين وأنا يذهب كل منا من شاطئه الى الأبدية ، من شماله العدم وعلى يمينه النسيان ..

أوندين : ان لم تمت ..... ستنسى أنت كذلك .

هـــانز : ان لم أمت . .أنسى . . ما أسهل الكلام . لو كانت فقط الحياة تثير فى أى اهتمام ! منذ اللحظة التى ذهبت فيها ،كل ما كان يفعله جسدى من تلقاء نفسه أصبح على أن آمره بأدائه . لا أرى الا اذا طلبت من عيناى أن تريا . لا أرى العشب أخضر الا اذا قلت لعينى أن تراه أخضرا . اذا كنت تعتقدين أن العشب الأسود مفرح ! يا له من عمل مضن . على أن آمر خمس حواس وثلاثين عضلة ، حتى عظامى تنتظر أوامرى . لحظة من عدم الانتباه وأنسى أن أسمع وأن أتنفس .. سيقولون عنى مات لأن التنفس كان عبئا عليه .. مات من الحب .. أوندين ما الذى جئـــت لتقولينه لى ؟ لماذا تركتهم يصطادونك ؟

.. ..

سأكون أول فرد من آل وتشتين الذى لن تكون له

أرملة .لن تكون هنــاك غير جنية
وستكون قد نسيتنى ..
هذا أيضا ليس من العدل ..

اوندين : اطمئن .. لقد اتخذت الاحتياطات اللازمة .كنت تلومنى أحيانا لأننى لا أغير من مشيتى فى المنزل ولأننى لا أنوع فى حــركاتى ولأننى أسير بخطوات محسوبة . ذلك لأننى كنت أعمل حساب هذا اليوم الذى سأنزل فيه من غير ذاكرة الى قاع البحــار . كنت أفرد قامتى وكنت أرغمها على اتخاذ خط لا يتغير . وفى قاع الرين حتى بلا ذاكرة سيمكننى أن أكرر الحركات التى كنت أقوم بها عندما كنت معك . والدفعة التى ستحملنى من الكهف الى الجذور ستكون نفس الدفعة التى كانت تحملنى من المائدة الى النافذة ، والحركة التى أدحرج بها قوقعة على الرمال ستكون نفس الحركة التى كنت ألف بها عجينة فطائري .. سأصعد

الى المخزن .. وسأخرج رأسي .. ستكون هناك دائما جنية برجوازية بين هذه الجنيات . أوه ماذا بك ؟

هانز : لا شيء ، لقد نسيت .

أوندين : نسيت ماذا ؟

هانز : أن أرى السماء زرقاء .. أكملي !

أوندين : سيدعونني الانسانة . لأنني لن أغطس بعد الآن برأسي أولا . سأنزل دائما من الدرج في الماء ولأنني سأتصفح الكتب في الماء ولأنني سأفتح النوافذ في الماء . كل شيء قد أعد . لم تجد النجف وساعة الحائط والأثاث الخاص بي . ذلك لأنني ألقيت بهم في النهر . كل شيء له مكانه وله طابقه انني لم أتعود بعد . أجدهم غير ثابتين ، يطفون .. ولكن الليلة سيبدون لي مثبتين وواثقين من أماكنهم كما تبدو لي الدوامات والتيارات المائية . لن أفهم الغرض منهم ولكنني سأعيش من حولهم . سيكون الأمر غريبا اذا لم أستعمل هذه الأشياء واذا لم تأتني الفكرة لأجلس على مقعد ولأشعل في

الرين الشمعدانات ولأنظر فى المرآة .. ربما دقت الساعة فى بعض الأحيان الى الأبد سأستمع الى الساعة .. ستكون لى غرفتنا فى قاع الماء .

هـــانز : شكرا يا أوندين .

أوندين : وهكذا وقد فرق بيننا النسيان والموت والأعمار والأجناس الا أننـــا سنتفاهم جيدا وسنخلص لبعضنا .

الصوت الأول: أوندين ! ..

هـــانز : انهم يطلبونك !

أوندين : سينادوننى ثلاث مرات . لن أنسى الا بعـــد المرة الثالثة .. آه يا صغيرى هانز ، دعنى أغتنم هذه اللحظات الأخيرة ، اسألنى ! أحيى هـــذه الذكريات ، التى ستصبح بعد لحظات ذرات من الرماد . ماذا بك ؟ انك شاحب ..

هـــانز : ينادوننى كذلك يا أوندين ، شحوب كبير ، قشعريرة كبيرة تنادينى ! خذى هذه الدبلة من جديد وكونى أرملتى الحقيقية فى قاع البحار .

أوندين : بسرعة ! اسألنى !

هـانز : ماذا قلت يا أوندين فى الليلة الأولى التى رأيتك فيها عندما فتحت الباب أثناء العاصفة ؟

أوندين : قلت : ما أجمله .

هـانز : وعندما فاجأتنى وأنا آكل سمكتى المسلوقة ؟

أوندين : قلت : ما أغباه ..

هـانز : عندما قلت : فكرى فى ذلك من بعيد .

أوندين : قلت : ستتذكر هـذه اللحظة فى المستقبل .. اللحظة التى لم تقبلنى فيها .

هـانز : لا يمكننا أن نسمح لأنفسنا الآن بلذة الانتظار هذه . قبلينى يا أوندين .

الصوت الثانى: أوندين ! ..

أوندين : اسأل ! استمر فى السؤال ! أنا كل ما فى يضطرب .

هـانز : أوندين يجب أن نختار ، نتبادل القبلات أم نتكلم .

أوندين : سأسكت .

الفارس : ها هى خادمة المطبخ .. جسدها قبيح وروحها جميلة .

تدخل الخادمة يسقط هانز ميتا .

أوندين : **النجدة النجدة !**

المنظر السابع

أوندين . برتا . أحد الخدم . جريت . على رخام الأرض الذى ارتفع تمدد هانز وقد ضم يديه على صدره . ملك الجان .

برتا : من ينادى ؟

أوندين : هانز ليس فى حالة جيدة ! هانز يموت !

الصوت الثالث: أوندين !

برتا : لقد قتلته ! أنت التى قتلته ؟

أوندين : قتلت من ؟ .. عمن تتحدثين ؟ من أنت ؟

برتا : ألا تعرفيننى يا أوندين ؟

أوندين : أنت يا سيدتى ؟ كم أنت جميلة ! .. أين أنا ! .. لا يمكننى أن أعوم هنا ؟ كل شىء صلب أو فراغ ... هل هذه هى الأرض ؟

ملك الجان : هذه هى الأرض ..

احدى الجنيات : (تأخذ أوندين) فلنتركها بسرعة يا أوندين !

أوندين : أوه نعم فلنتركها .. انتظرى ! من هذا الرجل الجميل فوق هذا السرير .. من هو ؟

ملك الجان : يدعى هانز .

أوندين : ما أجمله من اسم ! لماذا لا يتحرك ؟

ملك الجان : انه ميت ..

جنية أخرى : حان الوقت .. فلنذهب !

أوندين : انه يعجبنى ! .. ألا يمكننا ان نعيد اليه الحياة ؟

ملك الجان : مستحيل !

أوندين : (تتركهم يسحبونها) وا أسفاه ! كم كنت سأحبه !

ستار ..